في الآداب العامة والخاصة

◆

مما لا شك فيه ان الطابع الذي تتسم به الاحداث الحربية في هذا الشتاء يحمل على الاعتقاد بان الحرب ان يطـول امدها ، ومهما يكن أطال أمدها ام قصر فالنتيجة اصبحت معروفة ، وقد لا نستبق الاحداث اذا نحن عرضنا لمعترك السلام ، هذا المعترك الذي لا يقل اهمية عن معترك الحرب ، فعلى اي اساس سيشيّد هذا السلام وهل تبنيه الدول ام الافراد ؟

معلوم ان احترام الآداب الدولية او بالاحرى المبادىء الادبية العليا التي تسمو على المصالح العملية المباشرة لكل امرىء او كل امة هو الشرط الحقيقي لتوطيد السلام . فالسلام لا يوجب زوال شعوب معينة كما قد يخطر لبعض منا بل يوجب انضمام الشعوب الى مبدأ كوني يتجاوز مصالحها الخاصة ، على نحو ما يتوجب على الافراد لمصلحة الدولة . وفي جملة اسس هذا المبدأ احترام العهود المقطوعة ، على ان لا يُمنع تعديل هذه العهود بالاتفاق المشترك .

ومعلوم ايضاً انه لا ينتظر من دولة ان تراعي بعض الآداب في علايقها بالدول الاخرى الا اذا كانت تراعي هذه الآداب في علايقها بشعبها ، فالآداب الدولية مربوطة في الواقع بالآداب الوطنية . وهذه الحقيقة ادركتها الكنيسة عندما قالت ان الحضارة المسيحية توجب على الصديق ان يعلن الحرب على السلطان الظالم . وأدركها الاسلام عندما قال : « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقـاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ، فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ، ان الله يحب المقسطين . » ومما لا يقبل الشك ان قضية السلام افسدها تقاعس اوربا عن التأهب لمعاقبة الدول التي بنت حكمها الداخلي على احتقار الشرائع الادبية ، فقد تسلحت في الماضي لمحاربة الثورة الفرنسية زاعمة انها تحارب سوء آداب هذه الثورة ولكنها لم تتسلح لمحاربة المجزرة الهتلرية في ٣٠ حزيران .

والان من يستطيع ان يعلّم الدول احترام الآداب التي تتجاوز مصالحها الخاصة ؟ لا نعتقد ان الدول تستطيع ذلك ، لأنها لا تقدر على ممارسة هذا الاحترام الا اذا وافق مصالحها ، اما المفكرون والفلاسفة فأقدر عليه لان جوهر نفوسهم يرتفع بهم عما يضطرب في نفوس الكتل والاحزاب من الاستئثار والجشع .

ولكن . . اي مفكر ام اي فيلسوف اقدم على خوض هذا الموضوع الهام ؟ فرجال الفكر الذين يعترفون بهـذه الآداب الكونية منقسمون ، فمنهم من كان يبشر بها على وجهها الناقص فيتهم امته بالتقاعس عن واجبها فيما يختص بهذه الآداب ولا يتناول الخصم وان كان اكثر تقاعساً . ومنهم من كان يأبى التبشير بهذه الاداب الكونية زاعماً ان لكل شعب آدابه الخاصة وان هذه الآداب لا تقل قيمة عن آداب الآخرين .

وهكذا اساء رجال الفكر الى السلام باساءتهـم تفسير الآداب او باختلافهم في تفسيرها . فالآداب الكونية وحدة لا تتجزأ ومن أسسها ان تراعي الدول في علايقها بعضها ببعض تلك الحكمة الابتدائية التي اتفقت عليها جميـع ضمائر الشعوب .

ثمة آداب خاصة توجدها البيئة والتربة وتلائم مصلحة شعب او تقاليده — وهذه الآداب تعلّم ضمـن دائرة محدودة من الارض ولجنس معين من الناس — وثمة آداب عامة يخلقها الضمير البشري لجميـع البشر عـلى الاطلاق ، وهذه الاداب يعلمها الفلاسفة والمستنيرون لا الاحزاب ولا الحكومات .

« اديب »

مهنتي واثرها في بناء الامة

٦

الرسام

بقلم قيصر الجبيل

●

مهنتي فكر ، وخطوط والوان ، فكر تقود البشرية الى الامجاد ، وخطوط يرتكز عليها بناء المدنيات ، والوان ، هي ثورة وعاصفة وهي هدوء وطمأنينة .

مهنتي تعريف الالهة الى البشر ، ورفع البشر الى مستوى الالهة ، مهنتي نور يضيء ظلمات الجهل ويفتح منافذ في ادمغة الناس يطلون منها على الجمال ، مهنتي امل ابيض وحلم ملون ، قبلة من شفاه الالهة على جباه البشر ، زهرة في حقل الحياة ونغمة في اذن الدهر . مهنتي صلة بين الارض والسماء ، مهنتي نور وظل .

كتبت باللون تاريخ البشرية ، وعرفت الاجيال الى الاجيـال ونقلت الحضارات من بلد الى بلد ، وزرعت الفكر والذوق ، ووزعتهما على الدنيا .

خلق الفن يوم خلق الانسان (الرائعة الاولى) وعاش معه في المغاور ، بين الجوارح والضواري فزين صخور كهوفه برسوم الصيد والصراع وكسا عريه من زهر الحقل وجلود السباع ، وانشأ له في مأواه بين الصخور والادغال ، اول متحف للفن .

وعلى هذا الشاطىء الناعم الاخضر المشع ، ابتكر الحروف الهجائية ففتح الافاق الواسعة ، وشق الطريق الى الفكر ، الى الطموح ، الى التشريع ، خلق الالهة وعايشها في المدن ، في الغابات ، في الصيد ، في الحقول ، جمع الاقحوان والبنفسج والوزال ، وضفر منها اكاليل على رؤوسهم الحلوة ، وبكت ينابيع بلادي دماً مع عشتروت على حبيبها ادونيس وناحت عليه صبايا بيبلوس ورقصن حول نعشه رقصة الموت ، حتى تدمت ارجلهن الناعمة ، وسقت الارض فاحمر الشقيق .

خلد الفن اعمال الانسان ، وهذب نفسه وارهف الحسه ، وفتح عينيه على الدنيا على اشعة الفجر تطرد الظلمة من وراء صنين ، وادهشه وهج دم الغروب فخيل اليه ان حريقاً شب في السماء . فتح عينيه ، فرأى رعشات النور على التـلال ودبيب الضباب على الهضاب . وفتح اذنيه فسمع وشوشات النسيم تحمل اسرار القلوب الى القلوب ، واطربه النغم ، فرقص ولعب ، وجعل له من الارض فردوساً يرتع فيه ويمرح .

خلد الفراعنة وخلق مدنيتهم وعلمهم حياة البذخ والمجد ، واستأصل الالوان من العشب ، من الصخر ، من الحشرات ، ومن تراب الارض ولوّن دنياهم ، وغاص في البحر فانتزع من قلبه الارجوان وكسا ملوكهم .

وارتاح الفن ، فاجتاحت الهمجية المدنيات ، وقتلت وهدمت ، ومشت الزوبعة آخذة في صدرها جميع ما يقف في سبيلها ، واندثرت آثار الفنان ، ونامت تحت الانقاض مهشمة محطمة . ولما هدأت العاصفة وسكن الكون ، وعادت الطمأنينة الى النفوس ، رجع الفنان الى اتمام عمله ، فبعث الاموات من المدافن ، ونشر مدنيات طواها الزمن ، واشخاصاً غاصوا في لجة النسيان ، ونفضت مصر القديمة عنها التراب ورجعت الى الحياة ، وعاش الفراعنة بايدي المصورين بلونهم الاسمر يصطادون الطيور الغريبة على ضفاف النيل وبين بحيراته ، وخرجت الالهة بدورها من الرمال ورجعت ايذيس والافاعي الالهية الى عروشها ومشى شيخ البـلد في متحف مصر الحديثة كما مشى في بلدته منذ الاف السنين ، وتأبط الموظفون اذرع نسائهم كما يفعل المعاصرون .

وعلا شأن الفن في اليونان اكثر منه في اي بلد آخر ، ولم تزل تلك الشعلة الى اليوم ، تنير العالم ، وكلما شطّ المزار بفنان ، رجع الى فيدياس ، وبراكسيتل وليزيب ، يسألهم اصول المهنة واسرار الجمال .

وتلهى الفنان اليوناني بخلق آلهة من البشر وجعل العرتنون اولمبا وسرحا لهم ، وعلا بالامة فوق المادة ففتح اعينها على الجمـال واولع الشباب اليوناني بالالعاب الرياضية والتمارين التي تقوي العضلات وتجملها وعاش بين آلهته المتناهية في الجمال فتدله بافروديت وابولون ، ولم يجسر القضاة وهم (فوق التأثر بالجمال) لم يجسروا على ادانة فرينه لان النحات براكسيتل اتخذها انموذجاً لافروديت المعبودة الجميلة ، وعندما

طاب القضاة اليها اثبات صحة ادعائها بالبرهان ، نزعت وشاحها ووقفت وقفة الآلهة ، فخر القضاة كلهم سجداً لها ٠٠ من اليونان ، ظهرت شموس انارت ليالي الفكر ومن هناك ، هبت نسائم عطرة ، حملت الى العالم بذار الذوق .

دار الدهر دورته ، فنام الآلهة في الاكروبول ٠٠

زحف الرومان شرقاً واجتاحوا اثينا ، ونقلوا من فنها الكثير ، ووصلت الغنائم الى العاصمة ، وبدأ امراء الجيش والنبلاء ينشئون الهياكل والقصور ، ونزح كثير من الفنانين اليونان الى روما ، وساهموا في بعث مدنية لها اهميتها ، وطبعت العالم الروماني بطابعها ، الى ان قويت شخصية الفنان الروماني ، فانتج فناً رومانياً ، فحسب ، واجمل آثاره هي اقواس النصر التي بنيت لتمجيد القياصرة ، وتخليد الابطال ، فنقشت عليها رسوم المعارك التي انتصر فيها الرومان . فنفخت الحماس في الصدور ، ودفعت بالجيوش الى البطولة والاستبسال . ونزلت الآلهة من جديد على الارض ، فبنيت لها الهياكل الفسيحة ، ورجع باخوس الى العنب يعصر الخمر ويشرب ، والزهرة الى قلوب عشاقها تعبث بها وتلعب وجوبيتر الى صولته وصواعقه . وظلت الارض سحابة سوداء حجبت عنها النجوم فكان ليل عبوس طويل .

وعلى الضفة الثانية من هذا الشاطىء ، بزغ الفجر على العالم ، واطلت شموس ثلاث ، تنثر على البشر خلاصة المدنيات الماضية ، جبابرة طبعوا العالم بطابعهم الخاص ، واتاهم الزمن فكانت لهم ايام يسر وطمأنينة والمدنية ابنة اليسر والطمأنينة والاستقلال والمسيحية آنئذ في اوج عظمتها سباق على بناء المعابد وتزيينها ، سباق على بناء القصور وزخرفتها .

اطل رافايل على الدنيا كبسمة في فجر الحياة ، وضحكة رنت على الارض فوصل صداها الى السماء ، فتحت بوجهه ابواب الفاتيكان وهو في ريعان الصبا ، فبسمت له الآمال ، ومشى المجد بخدمته ، فكان كلما تحركت انامله اتحف العالم برائعة جديدة ، فتح للفنانين آفاقاً واسعة قطعت قيود المدرسة البيزنطية التي سيطرت على الفن اجيالا .

ورأى رافايل الطبيعة بعينيه ، فأحبها وراعه جمالها ، فراح ينشره على العالم بعبقرية في الخلق ، ومهارة في الرسم ، واحساس في الالوان ، لم ير العالم لها مثيلًا من قبل .

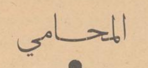
مزج جمال الطبيعة بجمال روحه فجاءت الوانه جميلة هادئة ناعمة ، وانوارها تتلاعب حول ظلال ، شفافة ، عميقة ، دافئة ، جعلت من مدرسة اثينا احدى روائع مدرسة حديثة للتصوير ، ملأ مقاصير الفاتيكان من مخلوقاته ، بشر على الارض ، قديسون في السماء ، عذارى بين الوثنية والمسيحية جميلات كالالهات ، عطوفات كالامهات ساذجات كالقرويات ، فتنة للكنيسة والمؤمنين ، فتنة للفن ، فتنة للعالم .

وفي الجبهة الثانية من روما جبار رابض على قباب فسيحة من الاخشاب معصب بقنديل صغير يزين سماء كنيسة سكستين بمخلوقاته الجبارة ، ويبني عوالم لا نهاية لها ضمن امتار محدودة ، عوالم غريبة عن عالمنا وبشراً لا يمتون الينا بصلة ، عمالقة جبابرة كعمالقة الاساطير عضلات مفتولة واوضاع غريبة ، اما يسوعه ، فليس ذاك الناعم الهادىء المتواضع بل هو جبار قوي العضلات غضوب رافع يده اليمنى الى على بحركة عصبية ليقذف بغضبه الخطأة والاشرار ، ان مسيح ميكل انج مسيح منتقم فهو القاضي الذي لا يرحم هو الديان الجبار ، هو جوبيتر الامس ، واجمل روائعه اسطورة الخليقة ، فقد خط بها الى الاجيال اعظم امثولة في الرسم والتكوين رائعة لم ير العالم له مثيلًا في الفن اليوناني والروماني . وثالثهم ليوناردو دافنسي وهذا وضع الله في دماغه عالماً كاملاً . فهو كاتب حسابي مهندس شاعر موسيقي مصور نحات عالم . ولكنه قلق لا يطمئن الى شيء ولا يرضى عن شيء . يحب الكمال ومنتهى الجمال ، يضع مئات التصاميم لكل صورة ثم يبدأها ثم يرجع الى تصاميم جديدة ويترك عمله في منتصف الطريق ويؤكد ليوناردو في مخطوطة في مكتبة فرنسا انه اكتشف آلة اثقل من الهواء تطير بأي اتجاه اراد .

ومن هؤلاء الثلاثة بزغت الانوار على العالم فهم مؤسسو العالم الحديث ومشت في انحاء المعمور فرونيس السفير الممتاز والفنان الكبير في بلجيكا ، ورامبرانت في هولندا وفلسكز وغويا في اسبانيا والبرِ دورو ، في المانيا ، ملاؤا الكنائس والقصور وطبعوا الدنيا بطابعهم .

اما الفن المعاصر ونزعاته المتعددة وانواعه المختلفة وطرقه التي لا تحصى فقد ولد في باريس وهو نتيجة اختبارات اجيال طويلة ، واول من حطم الاكاديمية اوجين دلاكروا زعيم الرومنطيقيين ، وكان نزاع صاخب بين دلاكروا وبين المذهب الاكادمي الممثل بشخص انغر انتهى بانتصار الرومنطيقية وتحرير التصوير من قيود المدرسة . ومل الفنان جدران المحترف فخرج الى البرية الى نور الشمس في الهواء الطلق فكانت المدرسة الانطباعية اولامبرسيونيسم التي زعزعت المدارس القديمة وقلبت مبادىء الفنانين رأساً على عقب وجرفت ذوق المجتمع

٧



المحامي

بقلم الاستاذ ميشال شبلي

لا غرو بان جميع الحرف والمهن من حرة ويدوية هي من مقتضيات الحياة الاجتماعية ولولا فالتافهة منها تزول وتضمحل ، انما يتسامى بعضها عن بعض اهمية وشرفاً ونفعاً .

والمحاماة حسب ما يفخر ذووها هي المهنة الحرة الرفيعة بل هي من الوظائف الهامة في جسم الامة . وهذه المفاخرة حدت البعض الى اتهام المحامين بالاغراق والاسراف في مدح مهنتهم كأن الاولى بهم ان يختصوها بمرافعتهم الفضلى .

اما انا فلا اريد التمادي في الاطناب بل اقول :

ان المجتمع قد احتاج الى المحاماة منذ احتاج الى القضاء . اي منذ امتنع الانسان عن اخذ حقه وفصل منازعاته بالقوة والبطش .

وهكذا فحيثما جلس القضاء على منصة الحكم وجب مثول المحاماة امامه . وقد ازداد هذا الوجوب بقدر ما ازداد التقدم الاقتصادي والرقي الاجتماعي اي بقدر ما تعدّدت القوانين وتشعبت حسب مقتضيات ذلك الرقي .

واقد اخطأ من خال انه يمكن الاستغناء عن المحامي في القضية . ان هذا القول جهل فاضح . اذ ان وجود المحامي واجب في جانب من تدفع به مصالحه في منعرجات القوانين والانظمة وفي مهامه المعاملات والمسؤوليات وحسبي ان اذكر لكم منها تلك المسئولية المدنيـة الحديثة وما ينجم عنها . فأصبح لا يمكن المرء ان يعمل او ان يسير (على رجليه او في سيارته) او ان يقتني الملك حتى ولا ان يقبع في عقر داره دون ان يتعرض لتلك المسؤولية الاجتماعية الداهمة .

اجل لا يمكن الاستغناء عن المحامي وهو الذي يمحص القضايا المعقدة وراء منضدته فيستمع بالدقة والاناة الى اقوال زبائنه وطالما كانت مبهمة مشكلة ، فيبسطها عنهم للقضاء على نور القانون ويساعد على تفهمها وحلها بالحكومة .

فالمحاماة هي مشكاة القضاء النيِّرة .

وقد اعترف الشارع واعترف الناس باهمية وظيفة المحامي في معاونة القضاء . فقال الاقدمون بان على صاحب الدعوى ان يقيم عنه وكيلاً « صيانة لعرضه وماء وجهه » .

وجاء في تشريع يوستينيانس ما تعريبه :

« ان المحامين الذين يوجدون الحلول في الدعاوى المشكلة العويصة والذين بقوة دفاعهم سواء في القضايا الحقوقية او الجنائية يحافظون

معها فانه اول من حاول الخروج عن المألوف ، فتصدى له النقاد دون ان يتمكنوا من التأثير على عقيـدته ، والتف حوله ، مونه وسيزله وبيسارو ودجا واخيراً سزان . حاولت المدرسة الانطباعية التقاط رعشات النور على الاشياء ، اما سزان فاراد ان يجعل من الانطباعية فناً قوياً ، فاتخذ الوانها النقية وبنى بها صورة بناء محكماً كلاسيكياً فكانت النزعة الجديدة او الرجعية ضد الانطباعيين . هذه لمحة عن سير الفن خلال العصور ما قصدت بها ان القي عليكم درساً تاريخياً ولكن لاثبت لكم ان اثر الفن في الامة ماثـل في جميع ادوار حياتها الفكرية والعملية وان الفن ميزان رقي الامة فاذا علا علت واذا انحط انحطت معه . فالصين مثلاً كانت ارقى دول الارض يوم كان الامبراطور عميد اكاديمية الفنون وكبير مصوريها . واما نحن ، فقد آن لنا ان نستيقظ وان تتفتح عيون الدولة على هذه الفئة التي تشتغل بصمت وتفكير لتوجيه شبيبة البلاد الى الجمال ورفع مستواه الروحي ، وتحارب الجهل والعمى في بلاد تهافت سكانها على المادة ودانوا بها فصاروا خطراً على مستقبل الفكر ومصير الامة .

قيصر الجميل

على الحقوق المهددة بالضياع هم من اركان المجتمع الانساني ولهم الفضل في الدفاع عن ملكنا مثل الذين يخوضون المعامع ويسفكون الدماء. فالمحامون هم قادة يدافعون بصوتهم العالي عن الامل والحياة وعن عائلات الذين يتألمون . »

وفي تشريعنا الحديث اوجب القانون اللبناني في درجة الاستئناف وهي الدرجة النهائية في الحكم وجود المحامي لمعاونة القضاء، مانعاً المتداعين عن المثول بذاتهم تلافياً للابهام وضناً بالوقت .

اما في الجنايات فكلنا يعلم بان القانون قد حرّم محاكمة المتهم دون مؤازرة محام يدافع عنه ضد خصم عنيد هو المدعي العام .

وهكذا فاذا كانت هذه المهنة هي من مستلزمات الحياة الاجتماعية الراقية، واذا كانت متلازمة مع القضاء لاحقاق الحق، فلاريبة بان تأثيرها في بقاء المجتمع الراقي يجب ان يكون كبيراً .

ان المحامي ليس وكيلاً لصاحب الدعوى كما درجوا على تسميته بل ان الصحيح هو كونه مدرباً ومستشاراً . انه لا يندمج بشخصية صاحب النزاع اذ رب قضية حقة لشخص مريب والعكس بالعكس ولا يتحرج بالدعوى كما يتحرج رجل السياسة في آرائه ومبادئه وهذا من عداد الامور التي تفرق بين الرجلين فاذا فشل رجل السياسة فان شخصيته تصاب بالصميم . اما المحامي فلا يعد فشله في القضية تسفيهاً لرأيه وحطاً من كرامته بل حسبه ان يبسط نظرياته بالنزاهة والمقدرة .

ان المحامي يجمع الى علم القانون فن المهنة، وهكذا فتكون المحاماة علماً وفناً معاً اضف الى ذلك وجوب التضلع بكل معرفة تتعلق بحياة الانسان الاجتماعية او الطبيعية على الاطلاق . وهذه المعرفة الواسعة تطلق للمحامي العنان، في تحليل القضية، الانطلاق الحر العالي . خذوا مثالا حادث القتل والمجال في تطبيق العقاب بشأنه يمتد من الاعدام حتى التبرئة عند الدفاع عن النفس . فكم هي وظيفة المحامي عندئذ كبيرة، مهمة لتبيان العوامل الدافعة والمسئوليات المختلفة الحافزة الى ارتكاب الجرم . ورب شخص يرتكب الجرم وهو غير مجرم عند معرفة ما اكتنف عمله من مسئوليات المجتمع والبيئة والظروف ...

ولا يختلف الامر عن هذا في القضايا الحقوقية حيث للاجتهاد المكان الرفيع وحيث تتقارب المسائل او تتباعد حسب الاحوال اذ كما يتباين الافراد عن بعضهم بالاخلاق والطباع كذلك تختلف المعاملات الاجتماعية وتستدعي الاجتهاد المتنوع الذي تريد المحاماة ان تساعد فيه القضاء. اجل قد يصح احياناً الانحاء باللائمة على هذا او الطعن بذاك من رجال المحاماة . ولكن المهنة هي فوق تلك اللائمة ولا ينال من عظمتها ونبلها ما يكون من جموح بعض افرادها مما لا مندوحة عنه في كل جماعة اية كانت .

*

قرأت مؤخراً بلزاك قوله :

« ثلاثة في الهيئة الاجتماعية العصرية وهم الكاهن والطبيب ورجل القانون يلبسون السواد لانهم يرتدون الحداد على آمال الانسان الضائعة . فالكاهن قد يعزي والطبيب قد يشفي او يخفف الالم اما المحامي فطالما يقف مكتوف اليدين عاجزاً امام انفجار بركان الشهوات وامام اندفاع تيار الحسد والبغضاء، وامام فواجع الغرام ومآسي الطمع والمال .»

اجل قد يقف المحامي احياناً كثيباً وراء ستائر مكتبته الكثيفة عند اسرار تلك الفواجع والمآسي التي يولدها احتكاك الحياة بالحياة . ولكنه لا يقف عاجزاً عن خدمة افراد المجتمع عندما ينير هذا برأي سديد ويقوّم خطوات ذاك بنصح مفيد . ان المحامي لا يقف عاجزاً عندما يبذل قواه وقصارى جهده في سبيل احقاق الحق وابداء الصحيح عن الرغوة عندما يقف فخوراً بجانب المتهم الذي يكون قد انكره ذووه ونبذه المجتمع .

انه لا يقف عاجزاً عندما يرفض بإباء تلك الدعوى الفاسدة — وطالما كان حسن الصيت في هذه المهنة ناجماً عن رفض بعض القضايا اكثر منه عن ربح غيرها . ان المحامي لا يقف مكتوف اليدين امام الدعوى الحقة، اذا كان فخوراً بنزاهته وعلو خلقه، متفوقاً بعلمه ومعرفته، حاذقاً بفنه جاعلاً في كل حين وحال القانون امامه والله فوقه .

بهذا وبكل هذا يعمل المحامي العمل النافع المجيد في بناء امته طوداً شامخاً راسخاً ومثالاً رفيعاً جميلا .

ميشال شبلي

جمالك هذا ام جمالي ؟ فانني أرى فيك انساناً جميل الهوى مثلي

وهذا الذيُ احيا به ، انت أم انا ؟ وهذا الذي اهواه شكلك أم شكلي ؟

وحين ارى في الحُلم للحبِ صورةً أظلّك يجري في ضميريَ أم ظلي ؟

تربّع كل الحب في كل ما ارى أمن روحك الكلّي هذا السنى الكلي ؟

خلقتك في دنيا الرؤى أم خلقتني ؟ وقبلك جئتُ الوحي أم جئته قبلي ؟

وعنيَ قلتِ الشعر أم عنكِ قلته ؟ ومن في الهوى يُملي عليه ومن يُملي ؟

أحسّ خيالي في خيالك جارياً وروحكِ في روحي وعقلك في عقلي

اذا ما تراءى مبهمٌ في تصوّري رأيت له ضوءاً بعينيك يستجلي

كأنك شطرٌ من كياني اضعتُه ولما تلاقينا اهتديت الى اصلي

الياس ابو شبكة

الطبيب

بقلم الدكتور محمد خير النوبري

●

عندما طلبت الي محطة راديو الشرق ان اتكلم عن « اثر مهنتي في بناء الامة » لم اتردد في قبول طلبها لسببين ·

اولا : لان الموضوع قد طابق هواي ·

ثانياً : لما لمهنة الطبيب من المكانة المهمة في بناء الامة تلك المكانة التي رأيت من واجبي ان اعرفها الى كل فرد من افراد الامة ليعلم المنزلة التي يشغلها الطبيب في المجتمع وما لمهنته من اثر في حياته وفي بناء امته ·

لنقرأ ايها السادة قصة الحياة او بالاحرى لنستعرضها ونتدبرها فاذا ما قرأناها رأينا الطبيب ماثلاً امامنا في كل دور من ادوارها · الم يكن له الرأي الاول في عملية الزواج عندما جاءه الخطيبان يعرضان عليه جسميهما للتأكد من صحتهما وسلامتهما من الامراض المعدية وغير المعدية التي يمكن ان تصيب اي جهاز من اجهزتهما عصبياً كان ام تناسلياً دموياً ام هضمياً حتى اذا كان شيء من هذا وقف بوجه هذه العملية الدقيقة حتى لا ينسلا نسلاً يكون عالة عليهما وعلى الامة · واذا ما وافق وتم الزواج الا تراه ماثلاً اول ساعة من ساعات الحمل حاملاً علمه واختباره ليخفف عن آلام الحامل مضايقات الحمل ومزعجاته وما يزال آخذاً بيدها مهتماً بها وبحملها الى ان تضع حملها هذا فيستقبل طفلها الذي ما يكاد يفتح عينيه الى الحياة حتى يهتم بكل دقيق من دقائق اموره ويهيئ له كل الشروط التي تضمن له الحياة والعيش في جو صحي خال من الامراض واسبابها لينشأ قوياً نشيطاً فيتعهده طفلاً بالبيت وصبياً يافعاً في المدرسة وشاباً في ميدان العمل ليخلق منه رجلاً صحيحاً في جسمه صحيحاً في عقله فيكون لبنة صلدة في بناء الامة ·

هذه يا سادتي قصة الحياة موجزة مختصرة ولكن وراء هذه القصة تاريخ حافل بالاعمال المجيدة وبالنتائج الباهرة التي سطرها ويسطرها الطبيب كل يوم بل كل ساعة بل كل دقيقة في سجل الميراث الانساني من اجل الانسان نفسه الذي هو وحدة الامة بل وحدة العالم ·

لقد سجل الطبيب منذ الازل ومنذ وجدت صناعة الطب عهد ابقراط الى عهدنا هذا آيات بينات في الواجب والتضحية في الواجب الذي ما منعه ولن يمنعه ان يضحي بنفسه محارباً الموت في سبيل انقاذ الانسان الذي منه تتكون الامة · ليفكر كل منا هنيهة ايها السادة بهؤلاء الابطال الذين حبسوا انفسهم في معاملهم وفي مختبراتهم وبين اسرة المرضى الذين كان يخيم الموت فوقهم ، مفتشين منقبين عن الميكروبات ليصطادوها ليدرأوا عنا آفة الامراض والاوبئة التي لولا محاربتهم لها والقضاء عليها لما كان انسان ولا انسانية ولا تمدن ولا عمران ·

ان الصور التي ترينا بام عينينا فضل هؤلاء البحاث الاكارم واناتهم وصبرهم في تصيد الميكروبات كثيرة وكثيرة جداً وسأكتفي بواحدة منها لان الوقت لا يسمح باكثر من ذلك ·

« ففي اوائل العقد التاسع من القرن الغابر كانت وطأة الدفتريا شديدة جداً والدفتريا داء تشتد وطأته وتلين في القرن الواحد مراراً وامتلأت في المستشفيات عنابر الاطفال بالمرضى وعلت اصوات اهليهم بنحيب لا فائدة منه تعود ولا نفع يرجى وخرجت من تلك الحلوق الصغيرة سعلة تصحبها قرقرة تنذر بان الاختناق قريب وتراءت وجوههم الصغيرة الزرقاء في وساداتهم البيضاء · وقد ازرقت من فعل اليد الخفية التي عصرت حلوقهم وضغطت على رقابهم · ومشى الاطباء في هذه الاروقة ليستروا يأس القلوب ببشاشة الوجوه ، وساروا من سرير الى سرير لا حول لهم ولا قوة الا ان يدسوا في حلق طفل مختنق انبوبة يدخلونها في هذا الغشاء الذي يسد عليه منفذ الهواء يحاولون

مهنتي واثرها في بناء الامة
٩

العامل

بقلم مصطفى العريس
رئيس نقابة عمال المطابع

◆

عند ما فكرت في كتابة هذه المحاضرة قلت في نفسي : كل شيء في الدنيا قد اشتركت في عمله وبنائه يد العامل . ومنظمو هذه السلسلة من المحاضرات لم يفاجئوني عند ما طلبوا الي التكلم في هذا الموضوع . فانا اعلم ، كما هم يعلمون ، ان هذا البناء الفخم قد بنته ايدي العمال وهذه الشوارع المخططة المرصوفة بالحجارة ذات التربيع او المفروشة بالاسفلت هي من صنع العمال . وهذه الحدائق الجميلة قد اوجدتها ايدي العمال ، وهذه المصنوعات والمنسوجات والملابس والمآكل قد صنعتها ايدي العمال والعاملات . وهذه الكتب التي يقرأها الطلاب في المدارس والجامعات قد اشتركت في اخراجها ايدي العمال ، وهذه الصحف والنشرات الدورية وغير الدورية ، المصورة وغير المصورة ، قد عمل في اخراجها عمال المطابع ، كل واحد منهم ساهم فيها بنصيب . فمن منضد الاحرف الى الطابع وجامع الصحائف ، ومرتب الملازم ومحرر الزوائد الى المحرر والمجلد ، كل هؤلاء العمال قد اشتركوا في هذا العمل . فلا تقع اعيننا على شيء الا وليد العامل اثر في صنعه وبنائه . فيد العامل اذن تصنع وتعمل كل شيء ، ولها التأثير الاول في بناء الامة الاقتصادي والاجتماعي والصناعي والعمراني والسياسي ايضاً .

فكما ان للعامل هذا التأثير في ميادين الصناعة والعمران ، كذلك للفلاح التأثير الاول في ميدان الانتاج الزراعي فلولا الفلاح لما رأينا حبة من القمح او الحبوب الاخرى ، ولولا يده المباركة التي تغرس الحب والنبات ، لما رأينا هذا الاخضرار في السهول والروابي كأنها جنة

بذلك ان يفتحوا له فيه منفذاً الى رئتيه » .

في مثل هذا الجو المملوء بآهات الامهات المفجوعات ولوعة الاقارب وبكاء الشقيقات وعند يأس الاطباء والممرضات قام ثلاثة من هؤلاء الابطال الافذاذ ببحوثهم الفريدة الجبارة فوقع اميل رو الافرنسي تلميذ داهية المكروب وداعيته بستور على سم الميكروب واكتشف اميل بارنج الالماني ترياقه اما ميكروبه فلقد كشفه لوفلر الالماني ساعد كوخ اليمين الذي دخل ساحات الموت يبحث عن الميكروبات حتى اذا تصيد منها على هواه خرج عنها سالماً قد اخطأته سهامها فقضوا بذلك على بشلة الدفتريا وامحت تلك الصورة التي كان يمثلها على مسرح الموت هذا الميكروب الفتاك تلك الصورة التي سردتها لكم والتي صورها لنا ببلاغته وبيانه الدكتور العالم احمد زكي بك في كتابه قصة المكروب .

لقد قصصت عليكم قصة الحياة والان اريد ان اسأل من منكم لم يمر بالادوار التي عرضتها منذ ان حملته امه الى ان وضعته والتي ما بعد الوضع هذا التاجر وهذا السلم وهذا العالم وهذا المهندس وهذا القاضي والموظف والصحفي والجندي وكل من هو مادة من مواد بناء الامة ألم يكن في كل دور من ادوار حياته في قليلها او كثيرها موضع اهتمام الطبيب ؟؟

هذا الطبيب الذي اخذ على عاتقه ان يجعل من هذه المواد مواداً صحيحة قوية متينة حتى يكون منها بناء صحيحاً قوياً متيناً ؟

ان بناء الامة الذي تتم اركانه بافرادها لن يكون بناء يصمد للصدمات ولعاديات الزمن الا اذا كانت مواده قوية صحيحة ولن تكون مواده قوية صحيحة الا اذا تعهدها الطبيب . فالطبيب ايها السادة اثره ظاهر في كل زاوية وفي كل ركن من زوايا واركان هذا البناء فهو في الحقيقة الاول وهو اساسه وباقي افراد الامة هم اجزاؤه المختلفة فلولاه لم تكن الامة والسلام عليكم .

محمد خير النوبري

من جنان الخلد فيها متعة وحياة للناظرين ·

فحياة البلاد ترتكز على هذا المجهود الزراعي الذي هو بيد الفلاح ، فعند ما يستيقظ مع بزوغ الفجر ، ويسوق دوابه وماشيته ليحرث الارض ، فلا يكون هذا لاجله فقط ، بل لاجل الجميع ، فالعامل في المدينة يصنع وينتج المواد اللازمة للبناء والعمران ، والفلاح في القرية ينتج المواد اللازمة من الحبوب والخضار · فلا غنى للامة اذن عن مجهود الاثنين ، ولا مفر اذن من تحسين حالة الاثنين الاقتصادية والثقافية ·

ولو القينا نظرة على حياة العمال في بلادنا ، وحياة العمال في الغرب ، وقارنا بين محيطهم وظروفهم هناك وهنا ، سواء أكان من الناحية الاجتماعية او الاقتصادية والثقافية ، لوجدنا فرقاً كبيراً بيننا وبينهم ، ولرأينا ان التقدم الصناعي في اوروبا واميركا وغيرهـا من البلدان الصناعية المتقدمة قد اوجد طبقة عاملة واعية منظمة ، لها في البلاد الديموقراطية ، نقاباتهـا ومنظماتها ، وقد شرعت قوانين تحمي العمال وتضمن لهم تعويضات اثناء البطالة ، والمرض والعجز عن العمل · وهذه القوانين الاجتماعية هي مقياس لدرجة تقدم الامة ورقيهـا ومتانة بنائها ، فهي كلما اتسعت وكانت اقرب الى العدل والانسانية جعلت الامة اتم وحدة وارسخ بناء واوسع استقلالا ·

ان طبقة العمال في بلادنا تسير سيراً حثيثاً في طريق التكون اجتماعياً وثقافياً وتنظيمياً · ولا شك في ان بلادنا داخلة في مرحلة يمكن ان نسميها « مرحلة التطور الصناعي الناشيء » والطبقة العاملة تتقدم مع تقدم هذه المرحلة ، وتتطور مع تطور الصناعة في البلاد · امـا من الناحية الثقافية فجمهور العمال والفلاحين متأخرون لان اكثرهم يعجزون عن ارسـال اولادهم الى المدارس والانفـاق على تعليمهم وعلى اعاشتهم في وقت واحد · كما ان التعليم الاجباري المجاني لم يدخـل بعد في قوانين بلادنا لا في القرية ولا في المدينة · فنرى ان اكثر الاباء ، بحكم هذه الظروف ، مضطرون الى ارسال اولادهم الى العمل في مختلف المهن والصناعات فيدخلون العمل احداثاً ، ويقضون سنين طويلة يتقاضون خلالها اجوراً زهيدة فيحرمون العلم ويشبون وهم اميون او نصف اميين ·

واذا نظرنا الى عامل المطبعة نراه اكثر العمال تقدماً من الناحية الثقافية والناحية الاجتماعية والسياسية ، وهـذا يرجع سببه الى ان عامل المطبعة لا يمكنه ان يحترف هذه المهنة اذا كان امياً · امـا من الوجهة التنظيمية ، فان الطبقة العاملة ، رغم المصاعب والعراقيل ، قد بدأت تحسن ضرورة التنظيم النقابي · وقد قام عمال كثيرون في المدن السورية واللبنانية الكبرى بمحاولات غير قليـلة لتنظيم نقابات مهنية ، بعضها حالفه التوفيق ، وبعضها لم يوفق حتى الان · وليس من ريب بان تطور ظروف الحياة نفسه ، يضع امام العمال جميعاً ، كواجب اساسي ، مسألة انتظامهم في نقابات تعمل على جمع شملهم ورفع مستواهم المادي والثقافي · وتجارب الماضي والحاضر هي خير ما يقنع العمال بالسير في هذا السبيل ·

ان طريق التنظيم النقابي غير سهلة المسلك ، ولكن عندما يحزم العمال امرهم ، لا تستطيع المصاعب ان تقف بوجههم مهما كانت ·

ان الطبقة العاملة في بلادنا لم تمر بالظروف كلها التي مرت بها الطبقة العاملة في الغرب ، فامام الطبقة العامـلة هنا ، مراحل عديدة ، سياسية ، واجتماعية ، يجب ان تجتازها ·

ولكن ما هي الوسائل التي يجب اعتمادها في تطور الطبقة العاملة وتقدمها وانتقالها من مرحلة النشوء الى طور التكامل ؟·

ان اهم ما تحتاجه امتنا في تكوينها هو التطور الصناعي ، اي تقدم الصناعة الوطنية وازدهارها · وبديهي ان العمال يريدون هـذا ، ويرحبون به ويبذلون كل جهد ممكن في سبيل تسهيل هذا التطور ، ولا يطلبون سوى شيء واحـد · هو ان لا يكون هذا التطور على حساب بؤسهم وشقائهم · فكما ان اصحاب المعامل والمصانع يطلبون من العمال تقوية الانتاج وتحسينه واتقانه ، كذلك يطلب العمال ان ينالوا اجوراً كافية تمكنهم من ان يعيشوا عيش انسان ، اي في ظروف صحية وغذائية ملائمة · لان العامل اذا لم يشبع ، ولم تتيسر له السكنى الصالحة ، لا يستطيع القيام بما يطلب منه على اكمل وجه ·

لنأخذ مثلاً عمال اميركا وانكلترا ، فانهم يعملون للمجهود الحربي بكل نشاط وينتجون السلاح والآلات بسرعة لم يسبق لها مثيل ·

وهذا دليل على ان الديموقراطية التي يتمتع بها العمال في هذين القطرين لم تكن قط سبباً في تأخر الانتاج ، بل كانت حافزاً لزيادته ٠ وبهذا يرد عمال اميركا وانكلترا جميع الافتراءات التي وجهت الى الديموقراطية في البلاد الاخرى ٠

واذا اخذنا عمال الاتحاد السوفياتي نجد مثالا رائعاً لما يمكن ان يصنعه العمال عندما يكونون احراراً ٠ فقد فقدت روسيا في هذه الحرب اهم مناطقها الصناعية ، ولكن انتاجها الحربي رغم ذلك كله ، هو اليوم ، اكبر مما كان عليه قبل دخولها الحرب ، وهذا راجع في الدرجة الاولى الى تفاني العمال واخلاصهم وتضحيتهم ٠

واذا ألقينا نظرة على المانيا النازية مثلا ، فلا يمكننا ان نشاهد بين عمال المانيا من الحماسة والنشاط في العمل كما نشاهد في البلاد الديموقراطية ، والسبب لذلك مفهوم وهو ان العمال يشتغلون هنالك تحت ضغط الارهاب ٠

فتطور الصناعة وزيادة الانتاج يتطلب توفير الراحة والهناء المنتجين ٠ ويخطىء الذين يظنون ان تحقيق هذا التطور ممكن بدون ارضاء العمال وتوفير عيش انساني لهم ٠

ان تطور البلاد الصناعي مرتبط الى حد كبير ، بتطور العمال الثقافي والمادي ٠ والصناعة الحديثة تحتاج الى كفاءة فنية وعلمية ، يجب ان تتوفر لدى العمال العرب ، اي يجب تسهيل العلم لهم ، وزيادة اجورهم وتأمين معيشتهم ٠

فتأثير المهنة في بناء الامة يتطلب توفير الشروط اللازمة لجعل هذا التأثير في البناء مفيداً كاملاً ٠ واني اعتقد ان الطبقة العاملة ستقوم بدور وطني هام جداً في المستقبل الى جانب الدور الذي تقوم به الان في الميادين الصناعية والعمرانية والسياسية ، فدور العمال في الميدان الوطني ، في الماضي والحاضر والمستقبل ، يجب ان لا ينكره عليهم احد ٠ فبعض رجال السياسة ينكرون على العمال كفاءتهم على القيام بدورهم في الميدان السياسي الوطني ، وهذا غير صحيح ٠ فعمال فرنسا يقومون الان باكبر دور في الميدان الوطني ٠ وهل يستطيع احد ان ينكر عليهم هذا النضال الدامي الذي يقومون به ؟ ولنتصور ماذا كانت تكون الحال في فرنسا واوروبا المحتلة ، لو اعتزل عمال تلك البلاد العمل السياسي وتركوه لامثال الذين يزعمون احتكاره لهم في بلادنا ٠

والعمال في بلادنا الم يساهموا في العمل الوطني ؟ اوليسوا ايضاً اعداء النازية والفاشيستية ؟

ان العمال يعرفون جيداً ان النضال ضد النازية والفاشيستية هو نضال وطني ، اذن فلا محل لنكران دور العمال في هذا الميدان ٠

ان العمال يقومون بدور عظيم في بناء الامة الاقتصادي ، الذي يقوم عليه بناؤها السياسي والثقافي وبناؤها العمراني من جميع الوجوه ، اي الذي يقوم عليه استقلالها ٠

ويقوم العمال بدور رئيسي مركزي في حياة الامة السياسية ، ففي البلاد طبقة من العمال تزداد بحكم التطور التاريخي وعياً وادراكاً لمهمتها ودورها في النضال الوطني وتشييد بناء الاستقلال ٠

ان الطبقة العاملة في بلادنا كانت عنصراً اقتصاديا في بناء الامة ، ولكنها تصبح الان عنصراً سياسيا ايضاً في بناء امة حرة متقدمة ٠

مصطفى العريس

من الادارة



١ ـ ثمن الجزء ٥٠ غ . ل .

٢ ـ بدل الاشتراك لسوريا ولبنان ٦ ليرات لبنانية

٣ ـ لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني (يناير)

٤ ـ بدل الاشتراك للخارج عموماً جنيه مصري . ويعطي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة

٥ ـ يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل

٦ ـ احتفظت الادارة ببعض اعداد من السنة الاولى (ما عدا الجزء الاول والثاني) فمن ينقصه شيء منها يمكنه ان يطلبها من الادارة .

٧ ـ الادارة مستعدة لشراء أي جزء من اعداد السنة الاولى وتدفع ثمنه ٧٥ غرشاً لبنانياً اذا كان بحالة جيدة .

٨ ـ كل المقالات والابحاث التي ترسل الى «الاديب» لا ترسل الى اصحابها سواء نشرت أو لم تنشر

٩ ـ توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت لبنان .

الضائع الابتر!

لاحمد الصافي النجفي

دمشق

وبيت من الشعر لي ابتر
ظللت انادي ايا من رأى
وسفهت نفسي لما غدوت
ولكن حبي له لم يدع
شغلت شياطين شعري بـه
الى ان اتاني به مارد
فقال هب الاجر لي قبل ان
فقلت وقد رمت غدراً به
رويدك بل ارني وجهه
ولكننا خاب كيدي له
فقال الجمال به مبهـم
فقلت وما الاجر عجل به
فقال تقـدم لي قبسة
فقلت الا تخشى حرقهـا
وهل تحرق النار من جسمه
فقلت الم تغن نـيرانكم
فقال قد انطفأت نارها

اضعت وفي الطرس لم يسطر
وليدي جـنـي به توجر
افتش عن ضائـع ابتر
فؤادي يسأل عن منظـر
تفتش عنه فـلم تظفر
عليه الشمائـل من عبقر
تراه ، وان لم تهب تخسر
وان كنت لليوم لم اغـدر
وما شئت من بعدها فأمر
ومكري ضاع مع الامكر
واخشى صدودك ان يظهر
واياك والغـبن للمشتري
من الجمر من قلبك المسعر
فقال : وللحرق جسمي بري
مصوغ من اللهب الاحمـر
بعبقر عن جمرنا الاحقر
بمن قال شعراً ولم يشعر!

ولكـن عبقر نيرانها
فاخرجت من مهجتي جمرة
وقلت اليك ، فخذها اليك
فاني اخشى على الكائنات
فصاح وقد لامستها يداه
والقى بها مسرعاً للصعيد
وفر وافلت من كفه
فعانقته وحرصي عليه
الى ان شفيت به غلتي
فأبصرت مالم ير المبصرون
رأيت وليداً هزيل القوام
فناديت هل شوهتك انتقاماً
فألفيته صامتاً لا يحـير
ورحت اعض على انمـلي
وبت اسدد لعني الى
وقلت سأحرقـه في الهجاء
على انه ذاق من جمرتي

يؤججها شعرك العبقري
توهـج باللهب الاخضر
واخف سنا نارهـا واحذر
متى مسها وقدها تسعر
سعيرك بالفكر لم يخطر
فعاد بها الـترب كالمحجر
لكني يدي ولدي الاصغر
الى وجه طفـلي لم انظر
ورحت احترق في المنظر
فياليت اني لم أبصر
عـديم البها بالي المئزر
اكف الشياطين من عبقر
جوابا وبالسر لم يجهر
لبحثي عن ضائع ابتر
لعين شياطيني المنكر
بنيران شعري ان يشعر
جحيما سيذكيه ان يذكـر



العرب في صقلية

بقلم حسن دوغان
ليسانسيه في الآداب

لقد عني العرب بالفتح منذ بداية تاريخهم فقدر لهم ان يؤسسوا دولة عظيمة مترامية الاطراف وكان همهم موجهاً في بادىء الامر الى الفتوحات البرية ، فلم يفكروا في ركوب البحر لجهلهم وسائله ، حتى انهم لم يكونوا ليعرفوا عنه سوى انه مساحة كبرى من الماء لا نهاية لها . وحتى أن عمرو بن العاص حينما طلب اليه عمر بن الخطاب يستوصفه البحر كتب اليه يقول : ان البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود ... لذلك منع عمر المسلمين من ركوبه

فلما كانت خلافة عثمان بن عفان طلب اليه واليه على الشام معاوية بن ابي سفيان ان يسمح له بانشاء اسطول بحري مخافة ان يغير الروم باساطيلهم العظيمة على الشواطىء السامية او المصرية ، ورغبة في الاستيلاء على املاكهم والقضاء على نفوذهم البحري ، وقد اذن له عثمان بذلك فانشأت السفن والاساطيل وشحنوها بالرجال والسلاح لمقاتلة الاعداء فيما وراء البحار واستفادوا كثيراً من مساعدة البلاد المفتوحة كما انهم اختصوا من ممالكهم وثغورهم — ما كان اقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وافريقيا والاندلس — امكنه لمهاجمة الاعداء . ونتيجة لذلك استطاع معاوية بن حريج ان يغزو بلاد الدولة الرومانية وان يصل اسطوله الى جزيرة صقلية اكبر جزائر البحر الابيض المتوسط واغنامها سنة ٣٣ ﻫ وهذه اول مرة تصل فيها الجيوش العربية الى هذه الجزيرة بعد هزيمة الاسطول الروماني في الاسكندرية في « غزوة ذات الصواري » وكانت النتيجة انتصارهم ورجوعهم الى الشام يحملون الغنائم الكثيرة . ولم تزل صقلية تغزى في اوقات مختلفة حتى استقر العرب فيها سنة ٢١٣ ﻫ بقيادة اسد بن الفرات قاضي القيروان من قبل زيادة الله بن الاغلب .

وكانت هذه الجزيرة قبل الفتح العربي جزيرة خاملة ، قليلة العمارة بالرغم مما فيها من غنى وثروة تابعة للروم وامرها يرجع الى الامبراطور صاحب القسطنطينية الا ان بعدها عن القسطنطينية وصعوبة الاتصال لانعدام الادوات جعلا سلطة الدولة البزنطية ضعيفة فيها ولذا كثرت الثورات التي كان يقوم بها حكام هذه الجزيرة طلباً للاستقلال . ومن هذه الثورات تلك الثورة التي كان يقوم بها فيميوس قائد الاسطول في صقلية في عهد الامبراطور ميشيل الثاني على اثر حادثة نسائية اراد الامبراطور ان يعاقبه عليها بالتمثيل والتنكيل ولهذا ثارت ثائرته وتعصب له اتباعه وسار الى مدينة سرقوسه — احدى مدائن صقلية — وملكها ولما رأى انه لا طاقة له بجيوش الامبراطور ركب اسطوله وسار الى افريقيا مستنجداً بزيادة الله بن الاغلب ووعده بملك صقلية .

اما زيادة الله بن الاغلب فقد استشار اصحابه فيما يعمل ، فأشاروا عليه بمساعدته واستقر الرأي في النهاية على انفاذ جيش مكون من عشرة آلاف مقاتل ومائة سفينة بقيادة اسد بن الفرات قاضي القيروان . واقلع هذا الجيش بصحبة فيميوس الى صقلية ، وما ان وصلوا مازر حتى التحموا مع الروم في قتال عنيف ، وكانت النتيجة انتصار العرب واستيلاءهم على عدة حصون من الجزيرة .

وجرت بعد ذلك مواقع كثيرة بين الروم والعرب كان النصر فيها متداولا بين الفريقين . ولم يستطع العرب التوغل في هذه الجزيرة حتى جاءتهم سفن من الاندلس وتوالت عليهم الامدادات من افريقيا وغيرها من الثغور الاسلامية ، واستمرت الحرب خمسين سنة استولى العرب في اثنائها على ثغور الجزيرة ومدنها الواحدة تلو الاخرى ، وكانت مدينة سرقوسطه — وتقع على الساحل الشرقي لهذه الجزيرة — آخر معقل وقع في يدهم سنة ٢٦٤ ﻫ وبذلك تمكن العرب من الاستيلاء على صقلية واسسوا بها دولة عربية .

اعمال العرب وآثارهم في صقلية

لما استولى العرب على جزيرة صقلية ، واستقر حكمهم فيها وجدوا ان البلاد في حاجة الى الاصلاح فمدوا يد المساعدة اليها ، وجدوا غلات فاستثمروها وضرائب مرهقة ومرتبكة النظم فخففوها . واعفوا منها من لا يستطيع دفعها وحددوا مواعيد جبايتها ، وسووا بين العربي

وغيره في المعاملة . وتركوا لاهل البلاد حريتهم الدينية ، واحترموا عاداتهم وتقاليدهم الوطنية . وقد اثرت هذه المعاملة الحسنة والادارة المصلحة في حياة سكان الجزيرة حتى قال بعضهم انهم لم يعرفوا للسعادة معنى الا في ايام العرب . واذا اردنا ان نبين الاصلاحات التي قام بها العرب في جزيرة صقلية فما علينا الا ان نلقي نظرة عامة على الزراعة والصناعة والتجارة والفن لنرى اعمالهم وخدماتهم العظيمة التي اسدوها لاهل البلاد .

اما الزراعة فقد تقدمت في ايام العرب تقدماً عظيماً حتى اصبحت عندهم علماً حقيقياً اخذوا نظرياتها من الكتب ثم وسعوها بتدقيقاتهم وتجاربهم وكانوا يطبقونها بمهارة عظيمة ، كما انها لقيت تشجيعاً وتحبيذاً حتى ان رجال الطبقه الاولى منهم لم يكونوا ليستنكفوا عن العمل بايديهم في زراعة الارض بينما كان غيرهم يحتقرها ويعدها عملا مهيناً كما انهم فتحوا الترع وحفروا الآبار وفلحوا الارض بطريقة علمية وبذلك انتجت الارض اصنافاً مضاعفة وكذلك زرعوا الازهار ونوعوا محصولاتهم تبعاً لنوع التربة ، وفاقوا غيرهم في علم التلقيح ، وعرفوا كيف يحرثون انواعاً جديدة من الفواكه والازهار والنباتات ونقلوا من الشرق الى الغرب كثيراً من الاشجار والنباتات ووضعوا في الزراعة كتباً علمية . اما الصناعة فقد خطت خطوات واسعة من حيث التنويع وجمال التنسيق ورقة الصنع ، وقد اشتغلوا في كل المعادن ، في الذهب والفضة والنحاس والحديد ، ولم يفقهم احد في صناعة المنسوجات ودبغ الجلود وفن الصباغة والروائح العطرية وصناعة الورق ويقول جوستاف لوبون في كتابه « حضارة العرب » : ان العرب هم الذين ادخلوا الى صقلية صناعة الحرير ومنها انتقلت الى اوروبا . ومن الادلة على ذلك وجود رداء من الحرير يرجع تاريخه الى ٥٢٠ هـ مما كان يلبسه ملوك صقلية في ذلك العهد وعليه كتابة بحروف كوفية . وقال ايضاً : ان هذا يجعل المرء يعتقد بان صناعة صباغة الاقمشة انما انتشرت في اوروبا من صقلية اذ فطن الغربيون الى ان هذه الصناعة الرابحة مصدر كبير من مصادر الثراء ، فاقاموا المصانع للنسج والصباغة في مراكز مختلفة وبدأوا بذلك ينافسون المصانع الشرقية .

والخلاصة ان العرب برعوا في كثير من العلوم الصناعية مما اعجب الغربيين وجعلهم ينسبون مخترعاتهم الى السحر . اما التجارة فقد كانت قبل العرب ضئيلة جداً ، اما في عهدهم فقد ارتقت واتسعت وكثرت بذلك الصادرات والواردات في البلاد وكذلك كثرت المتاجر والحركة في الاسواق ، وبذلك كثرت الاموال المتداولة وازدادت الثروات . واولع الناس بالترف والنعيم والتأنق في الملبس والمشرب والطعام .

اما من ناحية الهندسة والفن فقد برع بها العرب وتركوا منها آثاراً خالدة تدل دلالة واضحة على حسن ذوقهم ورقيهم وعظمتهم وان نظرة بسيطة على تلك المخلفات — من مساجد وقصور بديعة — لاكبر شاهد على ما اقول . وقد احب العرب ان تكون مبانيهم ممثلة لهم ولهذا طبعوها بطابعهم العربي الخالص . وقد ظل الفن العربي خالداً ومتبعاً في صقلية حتى بعد ان استولى النورمنديون عليها ، اذ انهم كانوا يعتمدون على العرب في كثير من اعمالهم . اما عن الناحية الثقافية وتأثيرها في صقلية فان الباحث ليعجز عن ذكرها لكثرتها وخطورتها اذ ان العرب لم يتركوا ناحية من نواحيها الا وكان لهم نصيب فيها وقد ظهر منهم العلماء والمحدثون والفقهاء والادباء والاطباء والفلاسفة ، مما كان لهم الفضل الاكبر على الامم الغربية عامة واهل الجزيرة خاصة . وقد اثبت آماري : ان صقلية مدينة للعرب ، وكذلك ايطاليا مدينة لصقلية بابتكار الشعر الوطني . وقال رينالدي : ان العرب لم يعملوا على انهاض الشعر الصقلي والايطالي فقط بل انهم امدوا قصصنا بشكلها ومادتها . اما اللغة العربية فقد طغت على جميع اللغات الاخرى وبقيت تستعمل في البلاد حتى بعد خروج العرب منها ويقال ان فريدريك الثامن الملك النورمندي الشهير قد اهتم باللغة العربية وآدابها اهتماماً عظيماً حتى انه كاد يجيدها اجادة حسنة وهكذا ظلت اللغة العربية اللغة الرسمية في البلاد وظل العرب هم القابضون على الناحية الثقافية مدة من الزمن حتى مجيء النورمنديين . اما في الطب فقد بزوا اليونان وسبقوهم في هذا الميدان فدرسوا علم وظائف الاعضاء وفن تدبير الصحة . وكانوا يركبون الدواء كما نعمل الان وما زالت طرق علاجهم للمرض تستعمل في هذا العصر وعرف جراحوهم استخدام المخدرات وقاموا بعمليات كثيرة جراحية من اصعب العمليات المعروفة وادقها ولا نعجب من ذلك اذا عرفنا ان اول مدرسة للطب انشأت في بالرمو والعرب هم الذين انشأوها وما عهد مثلها في جميع اوروبا ، بل ان مدارس الطب في الغرب ، انشئت بعد مدرسة صقلية باعوام ومنها انتشر الطب في بلاد ايطاليا . كما انهم بدأوا بدأ حسناً في علم الكيمياء . فاكتشفوا مواد جديدة كثيرة ومركبات عديدة كالكحول والبوتاسيوم ونترات الفضة وغيرها . والخلاصة ان العرب افادوا البلاد فائدة عظيمة ، وقد دلت آثارهم على ان الجزيرة كانت عند خروجهم منها ارقى بكثير من اليوم الذي دخلوا اليها .

حسن دوغان

المصور انجلوبولو

كان في القاهرة من ارض مصر عـذراء ذات كرويات ضامرة يعرفها الجميع . وكان اكتفيها التواءات تذكر بالنوم . احببت فمها الذي كان يتفتح كوردة دامية على كماليا وجهها كما احببت عينيها اللتين حطت فيهما النجوم نور نارها .

في احد الايام رآها مصور اجنبي، فبدت الفتاة مذهولة . ولم يتفق للمصور يوماً ان رأى عيوناً ترتعش كالفراشات ولا رمية اذرع كهذه تجري ماوية الورد في عروقها . فالقت عيناها عليه سلّم ضغطها الجنون ، واعطاه الله القوة على تحمل هـذا النظر . واذ لم يقو على احتمال لين هذا الجسد تتألق فيه ثمرة المشاوز المزغبة فمضى .

وفي بيته بدأ يصور عن طريق الذاكرة العذراء التي احبها . . .

على لوحة . . . وباربع ريش . ولكن بدون ان يستأذنني . . . وقد بقي يشتغل كل يوم طوال اشهر عديدة .

وفي مساء يوم نفض يده من اللوحة واذا هي « حية » .

وترك المصور محترفه سعيداً . . .

فاغتنمت العذراء الشابة هذه الغيبة فخرجت بدورها من لوحتها ومن بيت المصور الاجنبي ايضاً . . .

وكان المصور انجلوبولو سليم الطوية كالفتى فخيل اليه ان في الامر سرقة . . . والكثرة تواضعه كان يجهل قوة موهبته . . .

ومنذ ذلك اليوم زخرت غرفته الصغيرة بالحزن وزخرت عيناه الكبيرتان بغيوم مظلمة . .

وكانت اغنيات تتناثر في شوارع المدينة . . . وكل لحن يوقظ في نفسه ذكرى ذلك الجسد الشفاف يتلألأ في النور فينم عـلى الدم الجميل المرتعش فيه . . . وكان كل لحن يحمل اليه عطوراً سرية كأن ذرات تجور من بلد مجهول قد القيت على جمر قلبه . . .

في احد الايام فيما هو يهيم على نفسه في شوارع المدينة سمع من اعماق باب صوتا ورديا يقول له بلهجة خاردة : الى اين انت ذاهب ؟

وهكذا لم يجد الاجنبي ، المصور في ارض مصر هذه المرة ايضاً العذراء التي احبها والتي يبحث عنها .

احمد راسم — السويس

ليلى



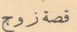
بقلم

نقولا بسترس

ليلى ، وليلى انين
ولوعة في غنائي
وعصفة في ضلوعي
وثورة في دمائي
ارجو اليها التجافي
عني ، وتأبى جفائي
كأن لذة ليلى
في ذلتي وشقائي

جميلة كالاماني
ندية كالورود
بين الجفون وبين
الشفاه دنيا وعود
اصغي اليها كأني
اصغي الى صوت عود
بين الملائك والحور
في جنان الخلود

ليلى ، تجافيك عني
حمل ثقيل عليا
اسعى اليه ، لان
الفناء يسعى اليا
وانت ياليل عندي
اعزّ من ناظريا
فان تجافيت عني
ابقيت مني شيا



من زهور القرية

بقلم عبد المجيد لطفي

— انك لا تخجلين ايتها المرأة !

باي حق تريدينني ان ابقى هنـا ؟ . ألكي اسمع هذا النحيب المتصل والتأفف لكل امر تافه ؟ ...

انك على خطأ حين تفرضين علي لوناً واحداً من الحياة فانا رجل انطلقت من تخيلات الماضي المظلمة فالحاضر شيء وتلك الايام السالفة شيء آخر ...

كعادتك كل مرأة تصغين ببلادة وتأمل فارغ ثم تهزين رأسك بين آونة واخرى كمن تصدفه شيئاً ذا قيمة ! ..

ان بليتي بك انك لا تجارين العصر الذي تعيشين به !! انظري الى جاراتك .. وتأملي كيف يمضين ايامهن ...

انهن يلبسن البسة تتفق ووجوههن وتنسجم على ابدانهن ويتزين بزينة تلائم ملامحهن اما انت فما اشبهك ببقرة بلهاء ! . وحين اكلمك بهذه الصراحة تلوين وجهك ناحية اخرى وتبكين مذكرة اياي بالماضي .. واي ماض ذاك ، انه لماض مخجل حقا . تذكري جيداً انك فلاحة . واني ارى خطوط الانهار والارض الوعرة في قدميك! .

— ومع ذلك فقد كنت تقول عني بانني جميلة ! .

— كنت اقول عنك جميلة . نعم ربما كنت قروية جميلة . اما بالنسبة الى المدينة العظيمة فما قيمة كل هذا الجمال البسيط ! .

— وانت ما ذا كنت ! . اتذكر ؟؟

— ولكني الان .. لقد تطورت الامور . اني اشغل المراكز التي تليق بمواهبي . ايتها الزوجة التي لا تخجل ! . ايتهـا المرأة التي لا تلتحق بقافلة الحسان ! .

«ان من حقي ان اتمتع بملاذ الحياة لان ايام العمر محدودة ولكن بقرة مثلك لا تقدر قيمة هذه الايام .

«انظري اكثر ! . اراك توسعيني بالنظرات كاني سرقت منك الكنوز ! .

— لا زلت احبك !! .

— هذا كل ما عندك ؟؟ . كلمة واحدة تكررينها كالببغاء كل مرة .. والحقيقة ايتها المرأة اني سئمت هذا الحب .

— وماذا تريد ان تصنع لي اذن ! .

— ماذا اصنع ؟ . حسن اضعك حيث انت . انك تعرفين لذة الدخان في المطبخ !

كم من الوقت الثمين ذهب في هذه المواعظ الباردة ! دعني اذهب وحين اترك هذه الدار ارى اني دخلت جنة الفردوس والنعيم ! .

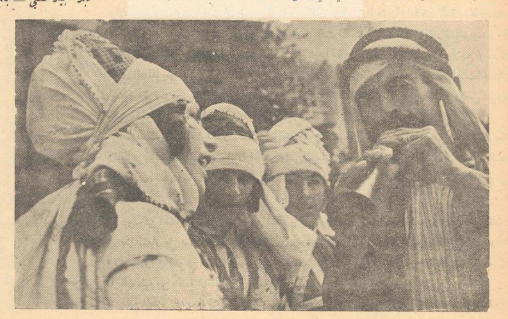
انتبهت الزوجة على ضرب الباب الذي هز اعصابها هزاً عنيفاً فعادت تمشي ببطء . كأنها تمثال قديم اقتلع من قاعدته . وبدافع غريزي اتجهت نحو المرآة الكبيرة وتطلعت الى وجهها .

كانت شاحبة حقاً وقد لاحت خطوط التعب والسهر على محياها بفظاعة ودهشت امام هذا التغير الكبير في جمالها . فقد حال لون شعرها وتجعد جبينها وبدت منحنية القامة ! ومع ذلك فلم تيأس انما تهالكت على كرسي واطيء . وراحت تفكر بالقرية الواسعة وحقول الحنطة في وهج الشمس وزهور نيسان المتألقة . وتذكرت امها وهي تقبلها ساعة الوداع . وتدعو لها حياة موفقة في المدينة مع زوجها الكريم . ولكن طامبة مدهشة تنهال على تلك الذكريات العزيزة . خيال خمس عشرة سنة متعبة تسقط عليها وتنسيها تلك الخيالات الهادئة الشعرية الحنون .

لم تحسب حساباً للزمن وانما ظلت محدقة في السماء . حيث كانت السحب الخفيفة تتورد مبعثرة لما جميلة هنا وهناك . واخيراً عند ما غابت تلك الالوان وسادت ظلمة خفيفة في الافق صعدت السلم الى غرفتها ببطء . وتألم ، وهناك اوقدت الضوء وبكآبة مضنية مدت يدها المرتجفة الى صندوق خشبي صغير واخرجت منه بضع اوراق نقدية وقطعاً من الفضة واخرى نحاسية زهيدة ووضعت كل ذلك في صرة وهمهمت مع نفسها : اجل لقد انتهى كل شيء . يجب ان اعود ...

لا تدري متى جاء زوجها وكيف خرج في الصباح ولكنها تعرف الآن بانه فاجأها وهي تحزم امرها للسفر بيد انها لم تره هذه المرة شكساً عنوداً ، وانما كان محياه يرسم صورة حزينة لحقيقة غامضة في صدره ! . تمتم الزوج بجنو وحزن — ما بك يازوجي ؟ . اراك ترتعدين؟ أتحسين ببرد والم ؟ . هزت رأسها مصدقة وقالت : اني احس بضيق شديد ، ان آلاماً كثيرة تخيم في صدري ، وانت ما بك ؟ . صمت الزوج لحظة جمع فيها قواه الخائرة ثم قال بلهجة يائسة : — انا؟ اتسألين عني ؟ نعم ! ان الحقيقة مرة ولكن لابد منها . « اني طردت من العمل ! » . وتقدمت منه بخطوات ثابتة وعلى وجهها ظل فرح وشجاعة وقالت وهي تضم يده الى صدرها وتضع فيها صرة المال — خذ هذا .. انه يضمن لنا حياة سعيدة في الريف ، لنذهب الى القرية فقد علمت ان حاصل هذا الموسم كان جيداً وان ابي ليرحب بنا بسرور . لم ينطق الزوج بشيء . وانما اخذها بين ذراعيه وقبلها قبلة صادقة طويلة وبكى بحرارة وحزن !

عبد المجيد لطفي — بغداد



شعار الخلافة والملك في عهودهما الاولى

بقلم نسيم بزبك

لكل دولة من الدول القديمة والحديثة في الشرق او في الغرب شعار يتخذه السلطان في شكال ومظاهر معينة لتعزيز ابهة الملك وارهاب الاعداء والقاء الهيبة والاحترام في نفس الرعية

وانما ضمن هذه الحدود اتحدث اليكم بشعار الخلافة منذ عهد الراشدين رضي الله عنهم الى عهد الفاطميين على وجه التقريب والاجمال . من الثابت ان الاشكال التي اتخذها شعار الخلافة والملك قد اختلفت باختلاف عوامل المكان والزمان خلال العهود المتتابعة بانتقال مركز الخلافة من المدينة الى دمشق ثم الى بغداد ومنها الى مصر

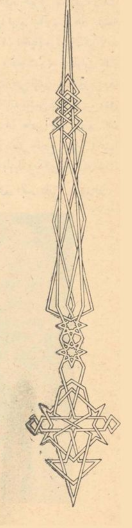
واسمحوا لي ان اقول ليس حديثنا الان حديث اشكال ومظاهر مجردة انما هو حديث شعار له مقامه في تاريخ الفتوح والنهضات والمدنيات شعار رسالة سماوية وعالمية غيرت وجه الشرق وانارت سبل الغرب وكانت حلقة اتصال بين العالمين القديم والحديث

وهكذا عندما نذكر الخاتم والبردة والقضيب وثياب الملوك ولون الاعلام انما نذكر عهد الدعوة الاسلامية العربية في صفائها المأثور بل اننا نفتح ألمع صفحة من صفحات العرب اشرقت حيناً بالعدل والانسانية والمساواة . قلت ان لعوامل البيئة والمكان والزمان اثرها فيما اعترض شعار الخلافة من تكييف على هيئات متعددة في ادوار معينة . لما كانت المدينة المنورة حاضرة الدولة العربية كانت الخلافة فيها جارية على البساطة وخشونة العيش لا تشوبها مظاهر كسروية او قيصرية ويرجع سبب ذلك لقرب اتصالها بعهد النبي صلى الله عليه وسلم ولاحتفاظ العنصر العربي بالسيادة من غير اختلاط باقوام اجنبية حتى قال بعضهم في عمر بن الخطاب رضي الله عنه : انما الملك الذي يأكل الشعير ويعس على رجليه بالليل ماشياً وقد فتحت له مشارق الارض ومغاربها)

لم يستشعر الخلفاء الراشدون سطوة الحكم كما استشعرها الامويون والعباسيون بفخامة الاشكال والمظاهر كاستخدام المقاصير واقامة الحجاب ولبس العمامات المرصعة بالجواهر وما اليها من الاسرة والتيجان والمواكب العظام وما كان يظهر فيها من رسوم الملك والالات الملوكية التي سنعرض لها بايجاز في سياق هذا المقال .

ولكن الخلفاء الراشدين جعلوا من الخاتم والبردة والقضيب شعاراً للخلافة بصورة مبدأية وكان لهم في هذا الشعار على بساطة مظهره رمز عجيب من رموز الايمان وقوة الارادة وفضائل التضحية ولذلك نراهم ساروا في ظله من مفخرة الى مفخرة ومن نصر الى نصر حتى أذلوا شعار الاكاسرة والقياصرة مع ما كان عليه من عظمة الاشكال وفخامة المظاهر .

من المعلوم ان محمداً صلى الله عليه وسلم قد اتخذ لنفسه خاتماً جعل نقشه (محمد رسول الله) وكان



ذلك عند ما بلغه ان الملوك لايقرأون كتابا غير مختوم ولم يكن له بد من تبليغ رسالته كما اوحي اليه باللسان وبالقلم فخاطب من اجل ذلك بعض ملوك زمانه برسائل خاصة يدعوهم بها لا عتناق الاسلام .

وبعد ان توفي صاحب الرسالة لبس ابو بكر ذلك الخاتم وانتقل منه الى عمر وكانت نهايته في يد عثمان كما يقول المؤرخون وقد وقع من يده في بئر . فكان على الخلفاء بعد فقد الخاتم هذا ان يتخذوا لهم بداعي الضرورة والتقليد خواتيم لكل منها نقش خاص به وقد استمر هذا الترتيب مرعياً الى ان سقط عهد الخلافة في بغداد . اما البردة فهي بردة النبي صلى الله عليه وسلم كان الخليفة يلبسها في المواكب ويظهر من وصف بعض العلماء الثقاة لها انها شملة مخططة وذهب بعضهم الى انها كساء اسود مربع فيها صفر ، وقد اختلفت الرواية في كيفية انتهائها الى الخلفاء فمن قائل ان النبي الكريم كان وهبها لكعب بن زهير حين امتدحه بقصيدته الشهيرة (بانت سعاد) وان كعباً امسك عن بيعها لمعاوية وقال لم اكن لاؤثر بثوب رسول الله احداً . ويظهر ان معاوية قد اشتراها بعد ان توفي كعب من ورثته بعشرة آلاف درهم . ومن قائل ان عاملاً من عمال مروان بن محمد اخذها من اهل ايله وقد اعطيت اماناً لهم فاودعها مروان خزانته وظلت في مكانها الى ان جاء من استولى عليها ويصح القول على الراجح ان ابا العباس السفاح اول خلفاء بني العباس قد اشتراها بثلاثمائة دينار .

اما القضيب فهو عود كان النبي عليه الصلاة والسلام يأخذه بيده وقد تركه في جملة مخلفاته سبق القول ان الخاتم الذي حمله النبي وقع من يد عثمان في بئر فلم يقتدر عليه . وقد احتفظ العلماء بالقضيب والبردة حتى انتزعها السلطان سنجر السلجوقي . ثم اعادها الى المقتفي بعد ولايته في بغداد . ويظهر بعد ذلك انها بقيت بين ايدي الخلفاء العباسيين حتى انقضاء عهد الخلافة من عاصمة الرشيد .

وانتقل بحديثي هذا الى مسألة اللون وكثيراً ما تعرض لنا فنقرأ عن اللون الاخضر والاسود والابيض في مظاهر الدولة الاسلامية العربية . الواقع انه كان للون شأنه ومعناه في الاعلام والخلع وما اليها . وقد اجمع كبار المؤرخين انه كان للنبي العظيم راية من صوف اسود وراية اخرى سوداء تسمى العقاب قيل انها رفعت على جبل دمشق على الثنية فاطلقوا عليها ثنية العقاب . اما اللون الاخضر فكان شعار بني امية وكان السواد شعار بني العباس وقد اختلفت الرواية في سبب اختيارهم السواد شعاراً لهم . ولعل سبب ذلك يرجع لكون النبي عقد لعمه العباس راية سوداء في يوم حنين ويوم الفتح .

جاء في الحديث الشريف « الخلافة في امتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك » . دخلت الخلافة في عهد الملك فكان دخولها حداً فاصلا بين عهدين — عهد الراشدين بما فيه من البساطة وخشونة العيش وان شئت قل عهد الخاتم والبردة والقضيب وراية الصوف السوداء — وعهد الامويين من الجهة الاخرى حيث الوان الفخامة في ابهة الملك بالمقاصير والحجاب والحرس والعمامات المرصعة بالجواهر والمواكب العظيمة كان الخليفة الاموي يجلس على العرش في قاعة الاستقبال يحيط به امراء البيت المالك وكبار رجال البلاط يتخذ الحشم ويقيم الحجاب على بابه ويصلي منفرداً في المقصورة حتى اذا سجد قام الحرس على رأسه بالسيوف . كان يدخل الجامع مرتديا ثيابا بيضاء وعمامة مرصعة بالجواهر ويصعد المنبر لالقاء خطبة الجمعة وبيده شارتا الملك وهما الخاتم والعصا . ولم يكن سابقاً للخليفة شارة يمتاز بها فاصبح الكتاب يشيعون القصص عن قضيب الخلافة وخاتمها . وكان عبد الملك يقول لمن يذكر في حضرته عهد الشيخين رضي الله عنهما ببساطته المأثورة (أتطلبون منا ان نسير فيكم سيرة الشيخين ابي بكر وعمر وانتم لا تسيرون سيرة الناس في عهد ابي بكر وعمر) الواقع ان معاوية بعد ان استقر له الامر تطلع الى ابهة الملك في القيصر واوضاع دولته ثم عمد الى ترتيب الخلافة على نظام الملك ترتيباً لم يخل من مظاهر قيصرية برزت جلية واضحة في غير ناحية من نواحي العهد الاموي .

كما ان الخلفاء العباسيين في بغداد قد تطلعوا الى اسياد فارس وادخلوا على ترتيب الملك بعض مظاهر كسروية جعلت بلاط الخليفة العباسي في ادوار معينة شبيهاً ببلاط الاكاسرة والقياصرة واصبح شخصه مقدساً كأنه ظل من اظلال الله على الارض فاخذ الناس ينحنون على قدميه ويقبلون الارض بين يديه .

ان انتقال الخلافة من الراشدين الى الامويين ودخولها في عهد الملك ونظام التوريث يستدعي التفكير والتساؤل من بعض الوجوه . هل كان على معاوية ان يحافظ على ترتيب الخلافة كما كان قائماً في عهد الراشدين وان لا يبالغ الى هذا الحد في ابهة الملك . ذلك ان اختلاط العرب باقوام مختلفة بعث في نفوسهم حب التقليد بداعي الضرورة واحكام الفطرة فكان لا بد لهم من اتخاذ جميع الوسائل والمظاهر لارهاب العدو والقاء الهيبة والاحترام في نفس الرعية . ومما يؤيد هذه الحقيقة قول الخليفة عمر بن الخطاب لمعاوية امير الشام وكان

عمر قادماً الى دمشق فخرج معاوية لملاقاته في موكب عظيم فقال له الخليفة : أأنت صاحب هذا الموكب؟ فاجاب معاوية انني بارض يكثر فيها جواسيس العدو فاحتاج الى ان اظهر لهم ابهة الملك ما يرهبهم . فان امرتني به ائتمرت وان نهيتني عنه انتهيت . فقال الخليفة : ان كان ما قلت حقاً فانه لرأي اديب وان كان غير حق فانه لخدعة اديب .

نجد في قول الخليفة هـذا ابلغ دليل على ان شعـار السلطان يجوز ان يرتدي اشكال الابهة متى كان الغرض من ذلك صيانة الملك ونشر الدعوة .

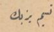
قلت انه لما استقرت الخلافة لمعاوية جعل ترتيبها على نظام الملك والتوريث وهو الذي قال : انا اول الملوك ، فاقام شعار ملكه بمجالي الابهة والعظمة مستشعراً سطوة الحكم وقد نهج نهجه الخلفاء الذين تتابعوا على العرش الاموي في دمشق . وقد سار العباسيون على اثرهم في هذا الصدد وتطلعوا الى اسياد فارس وادخلوا على ترتيب الملك بعض مظاهر كسروية جعلت بلاط الخليفة العباسي شبيهاً من بعض الوجوه ببلاط الاكاسرة والقياصرة . وقد بلغ بهم حب الابهـة في ذلك الملك المترامي الاطراف مبالغ العظمة في ادوار معينة لا سيا في عهد الرشيد وقد كان كما يروى يستلقي على ظهره وينظر الى السحابة المارة ويقول (اذهبي حيث شئت يأتني خراجك) وقد نجد في خلافة المقتدر ابلغ دليل على ما انتهت اليه ابهة الملك وشعاره في زمن العباسيين . عند ما بلغ المقتدر ان رسل ملك الروم قادمة الى بغداد امر باقامة الابهة في ابلغ اشكالها . فظهر من العسكرية في دار الخلافة مئة وستون الفاً بين راكب وراجل ووقف بين يدي الخليفة سبعماية حاجب واربعة آلاف بيض واربعة آلاف سود وحفلت الدار بانواع الاسلحة وفرشت بالوان الالبسة . فكان على ما يروى في جملة الستور المعلقة اثنا عشر الف ستر من الديباج المذهب وشجرة من الذهب والفضة باغصانها واوراقها تتمايل عليها طيور جميلة الاشكال من ذهب ومن فضة . ثم تقاصر امر الخلافة واكتفى الخلفاء بالدعاء على المنابر وضرب اسمهم على الدنانير وتولية ارباب الوظائف والقضاة وغيرهم . وكانت تولية الملك تختلف بعض الشيء بالنسبة لوجود الملك في حضرة الخليفة او بعيداً عنه كملوك النواحي فعند ما اراد القائم بامر الله ان يولي طغرلبك السلجوقي الذي تقلد السلطنة في سنة تسع واربعين واربعماية جلس له الخليفة على كرسي مرتفع عن الارض سبعة اذرع وعليه البردة ثم دخل عليه طغرلبك وقبل الارض ويد الخليفة ثم جلس على كرسي نصب له فالتفت اليه رئيس الرؤساء قائلاً باسم الخليفة ان امير المؤمنين قد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده فاعرف نعمته عليك . ثم خلع على طغرلبك سبع جبات سود بزيق واحد وعمامة سوداء وعمد الى تطويقه بطوق من ذهب وتتويجه [illegible] من ذهب واعطاه سيفاً بغلاف من ذهب ولقبه وقرأ عهده عليه فقبل الارض بين يدي الخليفة وانصرف .

اما اذا كان الامر يتعلق بتولية ملك من ملوك النواحي كمصر او غيرها فقد جرت العادة ان يجيز له التشريف من بغداد بواسطة رسول من جانب الخليفة وكان يخلع عليه جبة اطلس اسود بطراز مذهب . وطوقاً من ذهب يحمله في عنقه وسوارين من ذهب يحملها في اليدين وسيفاً قرابه ملبس من ذهب وفرس وعلم ابيض مكتوب عليه بالبياض اسم الخليفة ينشرونه على رأسه في الموكب الذي ينتقل فيه الى مقر ملكه . وربما تبع تجهيز الخلعة للسلطان خلع اخرى لوزيره اما اول من لقب بالوزارة في الاسلام فهو ابو سلمى حفص وزير ابي العباس السفاح اول خلفاء بني العباس وجرى الخلفاء على ذلك باتخاذ وزراء لهم الى ان زالت الخلافة من بغداد في سنة ست وخمسين وستماية . ثم اننا اذا القينا نظرة في عهد الخلفاء الفاطميين بمصر نجد من مظـاهر العظمة والالات الملوكية المختصة بالمواكب العظام ما يستوقف الانتباه . هناك جملة الآت هي في مجموعها صورة رائعة في موكب رائع . هناك التاج الشريف وقضيب الملك والسيف الخاص والدواة والرمح والدرقه والحافر ثم المظلة والاعلام والسلاح والفساطيط .

ذلك التاج المنعوت بالشريف كان الخليفة يفضله على العمامة في المواكب العظام انما هو تاج مرصع بجوهرة ثمينة سموها اليتيمة وقد كانت من النفاسة بحيث لا يظهر حولها جواهر اخرى دونها قيمة ونفاسة وكان يحمل في يده عوداً لا يتجاوز طوله شبراً ونصف ملبساً بالذهب مرصعاً بالدر والجوهر . اما السيف الخاص فكان يحمله امير من اعظم الامراء عند ركوب الخليفة في الموكب . وقد قال بعضهم في هذا السيف انه مصنوع من صاعقة وقعت في حين القتال وكان وقوعها مدعاة للظفر وهو في خريطة مرقومة بالذهب ولا يظهر منه الا رأسه . اما الدواة فكان يحملها شخص من الاستاذين في الموكب امام الخليفة وهي مصنوعة من الذهب وحليتها من المرجان . وكان يحمل الرمح شخص مختص به وهو في غلاف منظوم باللؤلؤ وعليه غشاء من حرير . اما الدرقة فكان يحملها امير من اكابر الامراء وهي على الراجح

الترس او الدرع وقالوا انها درقة حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم · ولم يكن الحافر سوى قطعة ياقوت احمر في شكل آلة منقطعة النظير جرت العادة ان تلصق على رقعة من حرير كانوا يحملونها في وجه فرس الخليفة عند ركوبه في المواكب الحافلة · وهناك في مثل هذه المواكب الحافلة تبدو قبة في شكل خيمة قائمة على رأس عمود وانما هذه هي المظلة وهي مصنوعة من حرير اصفر مزركش بالذهب وفي اعلاها طائر من فضة مطلاة بالذهب · وكانوا يحملونها على رأس السلطان في العيدين المباركين — عيد الفطر وعيد الاضحى — · اما الاعلام فينفسح المجال واسعاً للتكلم بها · ونكتفي هنا بالاشارة الى اللوائين المعروفين بلوائي الحمد وهما عبارة عن رمحين طويلين ملبسين بانابيب من ذهب وفي اعلاهما رايتان من الحرير الابيض المرقوم بالذهب ووراءهما رايات لطاف ملونة من الحرير مرقوم عليها نصر من الله وفتح قريب · ويبلغ عددها على وجه التقريب احدى وعشرين راية يحملها واحد وعشرون فارساً من صبيان الخليفة · ويرى الناظر ايضاً في موكب الخليفة مذبتين والمذبة كالمروحة محمولتين على فرس الخليفة وهما ملويتان كالنخلتين · وهناك انواع مختلفة من السلاح كانوا يحملونها وراء الخليفة في موكبه كالصماصم والوان اخرى لا ينفسح المجال لذكرها · ونكتفي بالاشارة هنا الى سيوف الدم وهي عشرة سيوف في خرائط دبياج احمر واصفر بشراريب يقال لها سيوف الدم تكون في اعقاب الموكب يستخدمها الخليفة لضرب الاعناق عندما يريد ان يقتل احداً ·

أما رسوم الملك وآياته فمنها ما كان عاماً متداولا بين الملوك ومنها ما كان خاصاً بمملكة دون سواها فسرير الملك هو من الآلات العامة الاستعمال وأول من اتخذ مرتبة للجلوس عليها معاوية وسار الخلفاء على اثره متنافسين حتى ضرب المثل في اسرة بني العباس وكان ارتفاعها عن الارض نحو سبعة اذرع وقد جعلوا السرير على هيئة منبر الجامع يجلس عليه السلطان في يوم عظيم · اما في الايام العادية فكان يجلس على كرسي من خشب مغشى بالحرير ويجلس في داخل قصوره على كرسي صغير من حديد يحمل معه الى حيث يريد · وكذلك اول من اتخذ مقصورة للصلاة في الجامع هو معاوية · وقد سارت بعدئذ سنة يتبعها الخلفاء · ويظهر ان نقش اسم السلطان على ما ينسج من الكسوة كانت الغاية منه تمييز الثياب السلطانية عن سواها واعلاء لقدر من يشرفه السلطان بلبسها عند تقليده ولاية او وظيفة او انعام · وان في الاسكندرية داراً معروفة بدار الطراز · اما الآلات المختصة بمملكة الملك فهي متعددة نذكر منها بايجاز الغاشية والرقبة والجفنة · وكانت الطبلخانات من الالات العامة لجميع الملوك تحمل غالباً في الاسفار والحروب لها تأثير كبير وقيمة كبيرة فقد قيل ان الاسكندر كان مصحوباً باربعين حملاً من الطبلخانات ونجد في كتاب السياسة الذي وضعه ارسطو للاسكندر ان السر في استعمال الطبلخانات ارهاب العدو في الحرب كما ان لابن خلدون كلمة في هذا الصدد لها معناها ان استعمال الطبلخانات والابواق يثير النشوة في مزاج الروح · نكتفي بذكر هذه الجملة من رسوم الملك والآلات الملوكية وهناك آلآت اخرى ورسوم اخرى يطول ذكرها ويعسر استيعابها · ولذلك اقف بكم في نهاية هذا المقال عند الفساطيط · وما ادراكم ما الفساطيط هي خيام عظيمة تردد ذكرها في اشعار العرب وقصصهم وامثالهم مصنوعة من القطن الشامي الملون بالابيض والاحمر والازرق وكذلك من الجوخ المختلف الالوان حتى ان الخيام كانت تليق باقامة الامراء والملوك على جمال صنعها ودقة اتقانها · ولعل الخيمة المعروفة بالقاتول هي اعظم الخيم التي يصح الاستشهاد بها · فقد كانت هذه الخيمة تستند الى عمود لا يقل عن سبعين ذراعاً طوله تقوم في اعلاه سفرة فضة واسعة · وفي النتيجة يستطيع الناظر ان يتبين من شعار الخلافة والملك في عهودها الاولى عناوين مدنية وسلطان وابهة مملكة وشعار ملك ونزعة الى التسيطر والتسامي ···



الادب التركي الحديث

بقلم غطوس الرامي

نقلنا في عدد سابق مختارات شعرية لاحمد هاشم بعد لمحة وجيزة شاملة عن الادب التركي الحديث وندخل اليوم جنينة يحيى كمال لنقتطف ما شهُوَ من ثمارها . وكل ما فيها شهي لذيذ .

يحيى كمال ، ولد سنة ١٨٨٥ . بدأ حياته الادبية ، بعد ظهور عصبة « فجري آتي » او « فجر الغد » بسنوات معدودة ، ونشرت قصائده في مجلات ادبية عديدة ولكنها لم تجمع بعد بديوان . ونشر يحيى كمال من النثر صفحات رائعة . بيد انه يظل شاعراً قبل كل شيء وشاعراً من عيون الشعراء ، وقليلون هم الشعراء الترك الذين جمعوا في ادبهم ، بين الغرب والشرق ، روحاً وحساسية واسلوبا مثل يحيي كمال . وهو مدين بهذه الخاصة البديعة لثقافته الكلاسيكية العالية ولتذوقه على السواء روائع الشرق والغرب .



فاسمعوه يقول في مقطوعة « لقاء »

« نضب النور في عينيّ ، وانا ارقب الدروب .
« وسألت النسيم عنها : « من تكون ؟ كيف تكون ؟ »
« ورأيتها فاذا في ناظريها صفاء بصر الفهد
« ويسربلها سحر يستوقف احلامي .
« فقلت ، أأنت التي اجلس معها منذ الازل الى وليمة
« وفي الفم وردة حمراء وفي اليد كأس ،
« ونشرب الى طاولة واحدة ، تلهب كلينا رغبات واحدة ؟
« فنظرت اليّ كأنها صحت من غفوة ، واصفرّت .

●

وفي مقطوعة « تحنان »



« وحيدا الى قلبي ، جلست في هذه المطارح ، تجتاحني الكآبة .
« اين انت ، يا حبيبتي ، واين ايام الصيف ؟
« كنا نتجاذب الاحاديث على الروابي ، ساعة طلوع النهار على الجبال .
« اين انت ؟ واين الجبال التي كان يتفنن الفجر في تلوينها ؟
« اقبل المساء ، فامحت الشمس الآن ، في الافق البحري .
« والشاردون وحدهم كالاشباح هبطوا القرية .
« وانا باق . خفتت ، في البعيد ، جلبات النهار .
« وانا ، وحدي ، باق الى قلبي في هذه المطارح ، أشبه بشبح . »

وفي مقطوعة « اغنية »

« احتفالا بيوم اعراسنا الاولى ، انعلت رجلك الحلوة قبلا .
« ولعرسنا في سعد آباد دعوت بالسر ضوء القمر . لنشاهد معًا القمر كيف يدردر شعره
« بينا تداعبين بين اناملك وردة . وردة كالكأس اللاهية .
« وبينا يتنهد ، في الليل ، طير الربيع .
« ولكي نشرب نخب الفرح في هذا العيد الكئيب ، دعوت لعرسنا ضوء القمر

●

وفي اسطوانة الاميرة « مهلاكه »

« الفتيان السبعة عشاق الاميرة مهلاكه
« اجتازوا ليلا بوابة المدينة
« الفتيان السبعة عشاق الاميرة مهلاكه
« كانوا سبعة مغرمين، مدنفين .
« ومنذ ان خطرت جميلة الجميلات
« كالطيف في احلامهم
« قصدوا جميعاً ، مسحورين ، جبل قاف
« ليشاهدوا الجمال الساحر
« طرحوا معاطفهم على اكتافهم . ومضوا . وتوالت الايام .
« مضوا وملء قلبهم حنين .
« وعندما كان النهار يلتف بالغسق .
« كان يقول بعضهم لبعض : « قد يكون هذا المساء هو الاخير . »

« لكن منفى الشوق لا حدود له .
« فالدرب تستطيل باطراد . والقلب يقنط .
« والمسافر يمشي ما دامت الحياة موافقة
« ويموت في الطريق قبل ان يبلغ الهدف .



« الفتيان عشاق الاميرة مهلاكه
« وصلوا امام بئر .
« نظروا في الماء بعين الوجل .
« شاهدوا في مرآته عالمًا مسحورا .
« كانت شجرات السرو الناحبات ، وحدها تحيق بالافق .
« وخيل اليهم برهة انهم يبصرون فيها
« هذه الجنية ذات العينين النجلاوين والشعر الطويل .
« وتأمل اصغر المغامرين البائسين برهة في مجاهل البئر المتهدمة .
« ثم انتزع من اصبعه خاتما من الفضة ورماه في الماء .
« فغارت المياه كالحلم .
« لقد ادرك الفتيان الساعة الاخيرة من رحلتهم .
« حينئذ ظهر عالم الحلم .
« والى عالم الحلم هذا ولجوا جميعا .
« والفتيان السبعة عشاق الاميرة مهلاكه .
« لم يعودوا ، على فوات السنين .
« وقيل انهم لن يعودوا من هنالك .
« الفتيان السبعة عشاق الاميرة مهلاكه

غنطوس الرامي

ابو الاسكندرين

نشرت « الاديب » في سنتها الاولى فصولاً عن الحركة الفكرية في العالم وستبدأ منذ هذا الجزء من سنتها الثانية بكتابة فصول عن ادباء فرنسا الذين يمثلون الحركة الفكرية التي عقبت الحروب النابوليونية وكان لها اثرها البارز ليس في تطور الاتجاه الادبي في فرنسا فحسب بل في مستهل النهضة الفكرية والادبية في الشرق ايضاً ومعلوم ان الجيل الفرنسي في اواخر الثلث الاول من القرن التاسع عشر طالب بسلوك سياسية تتمشى وتقاليد الثورة الكبرى . وبديهي ان تجد هذه السياسة مسرح توسعها في الشرق ، ولا سيا في مصر اذ كان محمد علي، وارث خطط بونابرت ومجده ، لا ينشد الا التعاون الفرنسي . وكان ان الناشئة الشرقية تأثرت بذلك الاحتكاك المباشر بين فرنسا والشرق فمالت الى الثقافة الفرنسية وراحت تغرف من معينها على يد الرسالات الاجنبية التي مهّد لها محمد علي سبيل الاحتكاك بالشرق . وكانت حركة الرومانتزم في مستهلها وعلى رأسها لامرتين وهوغو وفينيي وادكار كينه واسكندر ديماس وبلزاك وسنت بوف وبلانش وشارل نوديه واوغست باربيه وميشله ومونتالبر والفرد ده موسه وجورج صند وغيرهم ، فتأثر بها ادباء الشرق ولا تزال المسحة الرومنطيقية متغلبة على ادبهم حتى يومنا هذا . وقد رأت مجلة « الاديب » ان تتناول الصفوة المختارة من ابطال الحركة الرومنطيقية في فرنسا مبتدئة باسكندر ديماس الذي كان لقصصه المشهورة : الحراس الثلاثة، والفيكونت دي براجيلون ، ومونتكريستو ، وعقد الملكة وغيرها من القصص المستهدية التي نقلت الى اللغة العربية اثرها العظيم في توجيه الادباء العرب الى القصة ،وبما ان اسكندر ديماس يمتاز عن سائر الادباء الرومانطيقيين بتحدّره من صلب اب عظيم قد يجهله الشطر الاكبر من قراء العربية فقد رأينا ان نتحدث عنه في هذا الجزء وان نرجىء الحديث عن سيد كتّاب القصة في ذلك العهد الى الجزء المقبل .

بعد ان أبلى الجنرال ديماس والد اسكندر الاب واسكندر الابن بلاء حسنا في معارك الثورة الكبرى عين قائداً أعلى لجيش البيرينه الغربية ثم قائداً أعلى لجيس الغرب واليس الالب ، ثم قائد فرقة في ايطاليا تحت اوامر ماسينا وبونابرت ، وفي التيرول تحت اوامر جوبير ، وفي مصر تحت اوامر بونابرت . وكانت قوته الجسدية مضرب الامثال حتى لقد كان يستطيع ان يحمل على فخذه المطوية رجلين ويمشي بهما على رجل واحدة .

والغريب ان هذا القائد لم يكن يدعى ديماس، ففي النصف الثاني من القرن الثامن عشر ترك المركيز انطوان اسكندر دافي ده لاباييتري بلاط الامير ده كونتي فباع املاكه وهاجر الى سان دومنك . ومالبث ان تزوج فتاة حسناء تدعى ماري كوسيت ديماس ، ومن هـذا القران ولد غلام سمي توماس الكسندر . وبعد مرور عشر سنوات افترق المركيز عن زوجته فترك سان دومنك وعاد الى فرنسا مع ابنه . وما عتم الامر ان تزوج من جديد وهو في الرابعة والسبعين من عمره . على ان هذا الزواج الغريب لم يرق الشاب فأستأذن والده ان ينخرط في الجندية ، فلم يأب عليه والده هذه الرغبة ولكنه اشترط عليه

ان يبدل اسمه ، فقبل الشاب هذا الشرط واستبدل باسم الكونت ده لابايتري اسم السيد توماس الكسندر دياس ، وهو اسم امه .

قال اسكندر دياس الاب يتحدث عن ابيه : « كان والدي يخيف جنوده مقدار ما كان يخيف النمسويين الذين لقبوه بالشيطان الاسود . ففي احد الايام وصل ابي الى مدينة ايطالية وكان قد حظر على اي كان الخروج بدون سلاح . وفيما هو يطوف الشوارع على فرسه بصر باحد رجاله يتمشى بدون سيفه ، على ان الجندي ما كاد يقع نظره على قائده حتى أطلق لساقيه الريح ، فوخذ دياس جواده ولحق به فحمله من عنقه وبقي راكضاً به الى ان وصل الى اول مخفر فوضعه هناك صارخا : « يحبس هذا التيس ثماني وعشرين ساعة ! »

وقص الجنرال تيبيول في مذكراته نادرة طريفة عن الجنرال دياس . قال : « كان دياس يقود في ايطاليا قسما من القوات في حصار مانتو . ففي احدى الليالي جيء برجل دوهم وهو يتسلق القلعة . وفيما هو يستنطقه لاحظ ان الرجل مضطرب الضمير فقال : بما ان هذا الرجل يصر على الانكار فليؤخذ وليعدم بالرصاص . فصرخ المسكين قائلًا : ولماذا تريدون اعدامي ؟ فاجاب دياس : « لنشق بطنك ونرى ما فيه » فاخذ السجين يغمغم ، فقال له الجنرال : « أتعترف ؟ » فقال : « نعم » فقال الجنرال : « كم مضى من الوقت على ابتلاعك البرقيات ! » فقال السجين . « ثلاث ساعات تقريباً » فنادى القائد مساعده درمونكور وقال له : اذهب الى اجزاني القرية واسأله أينبغي اعطاء مسهل أم مقيء لرجل يراد استرداد ما ابتلعه بعد مرور ثلاث ساعات » وبعد خمس دقائق عاد المساعد يحمل مسهلًا ... وكانت البرقية موجهة الى القائد النمسوي ورمزر قائد قوات مانتو ، وهي على جانب كبير من الاهمية ولولاها لما تمكن بونابرت بعد مرور شهر من احراز النصر في ريفولي »

وكانت الجسارة التي تحلى بها الجنرال دياس مضرب الامثال ايضاً ، فقد اتفق له يوماً ان صدفي التيرول وحده فصيلة كاملة ومنعها من عبور احد الجسور . ولما عاد حياه بونابرت بلقب « هوراسيوس كوكليس التيرولي » وفي هذه المغامرة الهوميرية اصيب معطفه بسبع رصاصات ، وقد كتب الى جوبير يقول : يجب ان اهبك هذا المعطف السحري فقد يسعدك اذ اخترقته سبع رصاصات لم أصيب باية منها » على ان هذا القائد الباسل كان سليم القلب رقيق العاطفة . ففي حين كان يقود جيش البيرنيه الغربية في عهد الثورة كان مسكنه يشرف على ساحة المقصلة في بايون . وكان كلما دقت ساعة الاعدام يهرع الى اقفال نوافذه كيلا يشهد الفاجعة او يسمع اصوات الهاتفين . وفي احد الايام فيما هو يجتاز قرية صغيرة وقع نظره على مقصلة منصوبة في الساحة تهم باستقبال اربعة من المساكين . فقال لمساعده : « البردقارس يادرمونكور ، وقد لا نجد حطباً في المكان الذي نقصده ، فخذ معك ثلاثة جنود وحطم هذه الآلة الرجيمة التي تراها هناك وجئني باخشابها ! » ولما عرفت السلطة بالامر طلبت الجنرال الى المحاكمة . ولكن الجنرال كان في هذه الاثناء قد احرز فوزاً كبيراً باستيلائه على مونسنيس فغفر له جرمه

على انه كان عصبي المزاج ، سريع التأثر صريحاً الى ابعد حدود الصراحة ، ولم يكن يعرف ان يكتم ما في نفسه . فبعد احتلال جنين بونابرت مصر صرح في جمع من القواد بانه «لا يحب الديكتاتورية أكانت من نوع ديكتاتورية سيلاً ام من نوع ديكتاتورية القيصر» وما لبث ان قدم استقالته وعاد الى فرنسا .

وبعد سنة تزوج ورزق ابنة ثم ولداً « يزن تسع ليبرات ويبلغ من الطول ثماني عشر اصبعاً . »

كان مؤلف « الحراس الثلاثة » في العام الثالث والنصف حين توفي والده ، فلما قيل له ان والده مات قال :

— ابي مات ؟ وماذا يعني ذلك ؟

— يعني ذلك ، انك لن تراه بعد اليوم .

— لن ارى ابي بعد اليوم ؟ — لا ...

— ولماذا لن اراه ؟ — لان الله اخذه .

— واين يقيم الله ؟ انه يقيم بالسماء .

وبعد خمس دقائق تناول الطفل بندقية واخذ يصعد السلم فسألته امه قائلة : الى اين انت ذاهب ؟ فقال : الى السماء لاقتل الله الذي قتل ابي .

فاخذته امه بين ذراعيها قائلة : لا تقل ذلك يا ابني فقد كفانا ما نلقى من المصائب .

الى مغنية

لصلاح الاسير

●

من رونقٍ غضّ الملا — مح في ذرى حلم مضنّ
خطرتْ فاين يدُ القرا — رِ تهمّ بالطيف المغني
وترودُ ملعبه المدلّ — على ربى ابكار عدن
نهلت له الاسحارِ كأس — غذٍ تضج على تمني
وتلفتت شهبٌ ، وهلّت — ديمةٌ في رجع لحن
فعلى ضفاف « الآه » تحلم خفقة منه ومني
شجو البعيد من المنى — في اضلعي ،وصدى التجني

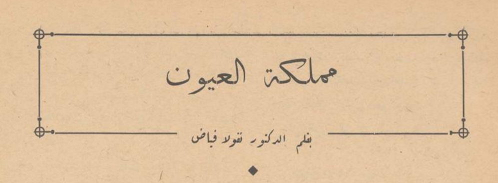
●

وانا نجيك يا بخيلة بعدُ امرحُ ملء اذني
قرّبت للنجوى اقترا — رك انت عن اجواء حسن
تترفقين سكبت دنّك في العروق فكان دنّي
فكأن عهد الارض بي — وببوحك المغناج يغني
أمرعت صحراء الدجى — فسلي الطيوب تجبك عني
وسلي وشاحك عن خيوط الوجد حولك كيف تضني
بفمٍ تحيّر كالعقيق — ومقلتيْ طفلٍ اغنّ

صلاح الاسير

●





مملكة العيون

بقلم الدكتور نقولا فياض

◆

اسمح لي ايها القارئ الكريم ان ادعوك اليوم صاحب الجلالة واستغفر الله ان يكون في هذه التسمية شيء من السخرية والمزاح ،فان لك بفضل عينيك ملكاً واسعاً لا يعد شيئاً بالنسبة اليه ملك روما في اوج عظمتها وملك الاسكندر وشارلكان . والشمس والنجوم تبعث اليك سفراء من عندها ، اقول سفراء لاني لم اجد لقباً احسن لتلك الاشعة الجميلة التي تملأ البصر بهجة والتي اجتازت للوصول اليك مسافات شاسعة لا يحلم سفير اية دولة باجتيازها .

وقفت امس على احدى الروابي التي تتوج الجبل ،اسرح الطرف فيما حولي من جمال وجلال : جبال ووهاد من غابات الصنوبر ممتدة على مدى النظر ، ترتفع عن جوانبها قمم شماء تتعاقب متعالية في السماء حتى تتصل بجبل الشيخ وصنين ، ويخترقها الى الغرب شعاب تكشف عن مروج خضراء تنحدر نحو البحر الازرق الرابض على الشاطئ، والمنبسط نحو الافق البعيد . ومن الاعماق النائية ضباب خفيف يتصاعد نحوي ببطء، واطمئنان كأنه روح الوادي حاملا في طياته رشاشاً لازورديا من اشعة الشمس الغاربة ، حتى اذا ما اخذ الضباب بالانجلاء كست تلك الاشعة رؤوس الجبال ورؤوس الاشجار حللا زاهية مختلفة الالوان يحار القلم في وصفها . فبدا لي هذا العالم الفسيح كأنه في قبضة يدي ، وخلتني في حلم وكـدت لا اصدق نفسي ،انا الحقير العاجز المرتبط بالارض ، الواقف على نقطة ضيقة منها ،ان اشرف على هذه المشاهد جميعاً في آن واحد كأنها ملكي لا يمنعني شيء من التمتع بمنظرها الساحر الخلاب ، واكبرت حاسة النظر التي اودعها الخالق في الانسان وجعلها اوسع من الجبال والبحار واسرع من البرق ، فتستطيع في اقل من لمحة ان تجوب الارض والسماء وتحيط بالقاصي والداني كاعظم الفاتحين . وقلت في نفسي :

حقاً انها لنعمة كبرى للانسان ، هذه العيون التي تحمله على جناح خفاق وتعطيه ملك الافاق . واي ملك ابعد سلطاناً وارفع بنياناً واجمل تيجاناً؟ وهذه الجبال المكللة بالثلوج ،وهذه الربى الضاحكة بالازهار ، وهذه الامواج التي تداعب الشاطئ ، والوان الخريف في الكروم والغابات ، والجواهر محمولة على اجنحة العصافير والفراش، ولآلئ الندى ، وزمرد الماء ، وياقوت السماء الاخضر ورماد الضياء يذريه القمر على السواقي والحقول ، لمن كل هذه اذا لم يكن لذي عينين يعرف ان يجيلها فيها ؟ اغمض ايها الرجل عينيك حيناً وفكر بهذه العجائب وجرب ان تعرف اين انت منها ومن العالم تدرك مقدار الثروة التي تحملها بين اجفانك وتشعر بمدى الوحشة التي يعيش فيها معدم النظر . ان شلر ، الشاعر الالماني ، رأى نفسه عاجزاً عن الذهاب الى ايطاليا لمشاهدة ما في متاحفها من جميل الآثار فصاح : هنيئاً للفقير المتسول القاعد على ابواب سانت انج لانه يرى عن كثب روما الخالدة . ولكن في الطبيعة والعالم الاف من روما يمكن كل انسان ان يكحل طرفه بمرآها دون ان يتكبد مشاق الاسفار، على شرط ان يعرف ان ينظر . وكم من الذين يمرون امام الجمال ولا يفهمونه لانهم لا يعرفون كيف ينظرون . مثل هؤلاء تمر الصور الجميلة في عيونهم دون ان تترك اثراً ، ولا عجب بعد ذلك اذا رأوا هـذه الاشياء العظيمة وبقيت نفوسهم حقيرة . مثل هؤلاء ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة فلا يدركون وحي النجوم ولا يسمعون نجوى الليالي ولا يفقهون معنى الروض والغدير والجبال المجللة بالوقار ، وما في الليل والغاب والموج من اسرار . مثل هؤلاء تجري الينابيع الصافية من امامهم ونفوسهم لا تغسل من ادرانها، وتستقبلهم ابتسامة الصباح الطاهرة ولا يمحى الخبث من صدورهم وترعاهم القبة الزرقاء ولا تسمو اليها اخلاقهم . فهم كالعميان لا

تنفعهم عيونهم بل ربما كانوا اكثر شقاء لان من العميان من يفضل المبصرين . وكم من ضرير يدرك سر الجمال احسن منا ، محاولا تفهم الاشياء باللمس وبما في حواسه من تنبه خاص لا قبل للآخرين به ، وكثير من الذين هجر النور عيونهم فأشرق في قلوبهم وضمائرهم : هوميروس وابو العلاء وملتون وغيرهم . وقد عير بعض الشعراء ابا العلاء بالعمى فقال :

قالوا العمى منظره قبيح　　قلت بفقدي لكم يهون
والله ما في الوجود شيء　　تأسى على فقده العيون

وهو قول فيه كثير من المبالغة ، ولعل الشاعر اراد ان يعزي نفسه بافحام خصمه فكأنه يقول العمى ولا رؤية الناس وما فيهم من شر وحسد وحماقة . ومن هذا القبيل قول الحوراني في آخر :

ما انت عثمان الضرير حقيقة
بل انت ذو النورين في ايامه
لكنما اغمضت من هذا الورى
كي لا ترى ذا الجهل فوق مقامه

والحقيقة ان في الطبيعة اشياء لا تحصى يجلب النظر اليها لذة كبرى للانسان وما خلا بعض الاحوال النادرة كما عند النوابغ فالحياة لا معنى لها بدون العيون . وقد عرف الناس ذلك حتى في ابعد العصور الهمجية فكان في فقدها اعظم قصاص المجرم . يروى عن نينوس باني نينوى انه هدد زوج سميراميس بالعمى ان لم يطلق زوجته لتكون له فشنق الزوج نفسه مؤثراً الموت على ذلك . ويذكر التاريخ ان زاليكوس المشترع اليوناني للقرن السادس قبل المسيح أضاع احدى عينيه لانه سن قانونا لمدينة لوكر يقضي بقلع عيني الفاسق ، وحدث ان ولداً له استحق هذا العقاب فلم يكن منه الا ان تقدم نحو القضاة وقال ان القانون يطلب عينين فانا اقدم عيناً من عندي وعيناً من ولدي فيستوفي القانون حقه ويستوفي حناني الابوي حقه فاحفظ البصر لابني .

وليست العيون للنظر فحسب فهي كما قال ارسطو ترجمان الانسان ، بها تعرف البلاهة من الذكاء والحماقة من الحياء والبغض من الحب والشر من الخير والمرض من الصحة . هي مرآة النفس التي لا تخدع والتي تخلع على الوجوه ملامحها الحقيقية . في عيون الاطفال طهارة واطمئنان وظمأ الى المعرفة ، وفي عيون الامهات تاريخ حنين الوالدي وما فيه من ألم وتضحية . هناك عيون شريرة وعيون محتالة وعيون صادقة وعيون مغناطيسية ذات سلطان قاهر فتجذب اوتدفع وتؤلم او تؤاسي وتحيي او تميت .

ان العيون التي في طرفها حور
قتلننا ثم لا يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن اضعف خلق الله انسانا

والكلمة العين في اللغة العربية معاني كثيرة غير البصر اهمها الينبوع ، وهو تجانس في اللفظ والمعنى ، اوليس الينبوع عيناً زرقاء مفتوحة نحو السماء ينعكس فيها النخيل وبياض المنائر والغيوم السارحة ، كما ان العين ينبوع يسيل منه دمع الفرح والحزن ويشع منها الجمال وتنعكس عليها احلام النفس الحائرة ؟ وقد كان للعرب جولة واسعة في العيون فنظموا فيها مالا تجده عند غيرهم من الشعراء وتغزلوا بمحاسنها وتوسعوا في وصفها فنعتوها بالنعاس والذبول والغنج والفتور والصحة والسقام وتفننوا ما شاء التفنن فشبهوها بالسيوف كما شبهوا الاجفان بالاغماد واستعاروا السماء لزرقتها والليل لسواده وجعلوا فيها معاني للخمور والزهور ومناظر الطيور والبحور الى آخر ما هنالك بين منظوم ومنثور .

تلك هي العيون وهذا سلطانها الواسع ولهذا كان الواجب علينا ان نعنى بها ما امكن العناية ونحافظ على صحتها وقوتها والعناية لا تقف عند حد النظافة وحمايتها من الغبار والذباب وما شاكل بل تتناول الاقتصاد في كل الاعمال التي تجهد العين والاعتدال في الحياة والعفة ، في المأكل والمشرب ، واجتناب السهر الطويل والنور القوي . مملكة العيون نعمة الانسان على الارض لا تحتاج في حمايتها الى السلاح والجنود بل الى مراعاة شروط الصحة ، والا صح فينا قول الشاعر :

أعطيت ملكاً فلم أحسن سياسته
وكل من لا يسوس الملك يخلعه

نقولا فياض

العشاق الذين يقتلون حبهم



ليس في الادباء والمتأدبين من يجهل قصة الشاعر ديك الجن الذي قتل حبيبته وشرب دمها وقال فيها هذه الابيات :

ياطلعة طلع الحمامُ عليها	وجنى لها ثمر الردى بيديها
روَّيت من دمها الثرى ولطالما	روّى الهوى شفتيَّ من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها	ومدامعي تجري على خدّيها
فوحقِّ نعليها وما وطئ الثرى	شيء اعز عليَّ من نعليها
ما كان قتليها لاني لم اكن	أبكي اذا سقط الذباب عليها
لكن ضننتُ على العيون بحسنها	وأنفتُ من نظر الحسود اليها

وقد قال اوسكار وايلد « ان كل امرئ يقتل من يحب اما بالسيف او بالكلام . » والواقع ان معظم ابطال المسرحيات المشهورة في الادب لا يقتلون اعداءهم بل يقتلون احباءهم ، فهرميون لم تقتل عدوتها اندروماك في مأساة راسين بل قتلت بيروس الذي تعبده . وروكسان لم تقتل مزاحمتها أتاليد بل قتلت بيازيد الذي تحبه ثم قتلت نفسها . واذا راجعنا مآسي شكسبير نقع على عشاق يقتلون عشيقاتهم . ومن لا يعرف مأساة « عطيل المغربي » لشاعر الانكليز ؟



اوفيليا حبيبة هملت

تذكرون ان ديدمونه ، ابنة احد اشراف البندقية ، تترك والدها برابنتيو لتلحق بعطيل المغربي ، وتذكرون ايضاً ان برابنتيو هذا يشكو العاشق الخاطف امام مجلس الشيوخ ، سوى ان مجلس الشيوخ كان بحاجة الى القائد عطيل لمقاتلة الترك الذين يهددون قبرص فيصرف النظر عن جريمته . وقبيل ذهاب عطيل الى قبرص يحذره والد زوجته بقوله : « كن على حذر ايها المغربي ، وانظر بعينيك ، فالتي خدعت والدها قد لا تحجم عن ان تخدعك . » فيقول له المغربي : « اني مؤمن بها . » سوى ان الوالد يكون قد زرع اولى بذور الشك في نفسه .

ويذهب عطيل عاهداً بزوجته الى صديقه الضابط ياغو . وكان احرى به ان يعهد بها الى الضابط كاسيو لانه كان قد رقاه ولم يعبأ بياغو ، فتثور نفس هذا الاخير ويضمر الانتقام لمن عهد اليه بزوجته .

واليكم خطته الرجيمة . قال ياغو في نفسه : « اية غرابة في ان يحب كاسيو

ديدمونه ، وان تحب ديدمونه كاسيو ؟ . . فنفسي لن تشبع ما لم اوقع عطيل في احمق لجج الغيرة القاتلة .

ولا يعم الامر حتى يتمكن ياغو من استدراج كاسيو السريع الغضب الى امتشاق سيفه في مشاجرة يدبرهـا ياغو قصداً ، فيعزله عطيل ، واذ يقنط كاسيو من عفو قائده يوسّط ياغو في الامر فيقول له هذا الاخير : اذهب الى ديدمونه .

ويقول في نفسه : « سأنفرد بعطيـل واجعله يرى بام عينه كاسيو يتوسل الى زوجته ديدمونه . . »

ولكن عطيل لا يحمل توسل كاسيو على محمل الشر لشدة ثقته بزوجته ، فيواصل ياغو زرع الشك في نفسه حتى يسمع عطيل يقول له : « اعتقد ان زوجتي امرأة صالحة واعتقد انها غير صالحة . فانا بحاجة الى برهان قاطع . » فيعطيه ياغو هذا البرهان وهو منديل كان عطيل قد اعطاه لديدمونه وفقدتـه هذه الاخيرة ، ويزعم ياغو انه رآه مع كاسيو . فيصدق عطيل الخبر ويقول لياغو : « انظر اليَّ يا ياغو ، انظر كيف اني اتملص بنفخة من حبي الاحمق واذريه في الريح . ألا فليثر الانتقام في صدري ولينفث سموم افاعيه ! » .

وهكذا تقرر موت ديدمونه . سوى أن عطيل يدعي انـه اصبح لا يحب التي صحّ عزمه على قتلها . فيأخذها بين ذراعيـه ويدفعها عنه صارخاً : « لماذا تنضجين هكذا بالحب . كنت اود لو لم تلدي . » ثم يهوي عليها يتنازعه الغضب والشفقة والحب . . . ويقول لها : « اذا اطفأت شعلة حياتك يا اجمل ما صنعت يد الطبيعة لا اعرف أين اجد تلك الشرارة السماوية التي تستطيع ان تحييك . يجب ان تموتي . واريد ان انشقك بعد وانت حية . هذه قبـلة وهذه اخرى . سأقتلك ثم احبك . »

وهكذا يقتل الحب الساخط المغيظ . على ان الحب السعيد ليس دون الحب الشقي عسفاً وجوراً . فهو لا يلبث في وسط سعادته الكاملة النقية ان يشعر بحاجة ملحـة الى وضع الحبيب موضع التجربة والامتحان . فيأخذ بتعذيبه بدون هوادة ليأخذه بعدئذ بين ذراعيه ويمجده لما ذاق من الالم . وهكذا يتملص ذو الغيرة من شكوكه على نحو ما جاء في اسطورة كريزيليديس ، الراعيـة الحسناء التي تزوجها المركيز ده سالوس واذاقها جميع الوان العذاب ليمتحن وفاءها .

واذا نحن استثنينا الخاتمة الفاجعة التي انتهت اليها مسرحية عطيل واحتفظنا بالنميمة كان لنا قصة جنفياف ده برابان التي حكم عليها بالموت وضاعت في مجاهل الغابات . وهذه القصة أشهر من ان نسرد موضوعها هنا .

واذا انتقلنا الى سواحل الدانمارك رأينا قصراً فسيح الارجاء من قصور عهد الانبعاث يشرف على البحر في شمالي كوبنهاغ . في هذا القصر جرت مأساة هملت الذي قتل حبه هو كذلك . وأي اديب لا يعرف قصة هملت وحبيبته اوفيليا في مسرحية شكسبير ؟ كان الامير هملت يحب اوفيليا وكانت اوفيليا تبادله حبه . على ان شقيقها لا يرت لم يكن مؤمناً بحب الامير لاخته فيحذرها قبيل سفره الى فرنسا قائلا . « ان حبه لك عطر دقيقة واحدة ثم يتلاشى » ويسمع والدهما بولونيوس الفقرة الاخيرة من حديثهما فيحذرها هو بدوره ولكن على طريقة الحظيّ الدني . قال : « ماذا بينك وبينه ؟ » قالت : « انه ما برح منذ زمن يكاشفني بحبه وحنانه » قال : « أتصدقينه ؟ » قالت مضطربة : « لا أعرف يا سيدي ما ذا يجب علي أن أعتقد » قال : « انك لابنة غافلة فقد قبضت نقده المزيف على انه نقد صحيح » قالت : « ولكنه أقسم لي » قال : « لاتصدقي القسم ، فالقسم ليس سوى حلف كاذب غايته اخفاء مقاصد ذميمة » وأمرها بان تكف عن محادثة هملت فأذعنت . ومنذ تلك الساعة حرّمت على هملت الاقتراب منها واعرضت عن فتح رسائله اليها .

وفي تلك الاثناء يرى هملت خيال ابيه القتيل ، واول ما يخطر في باله ان يسرع الى اوفيليا فتصده . وتخبر والدها بالامر قائلة : « كنت منهمكة في مخدعي عندما دنا مني السيد هملت مبعثر الشعر مرتعش الاعضاء قذر الثيـاب كأنه هارب من الجحيم ليقول اشياء مخيفة » .

فيقول لها بولونيوس : « لقد جن بك . » فتصدقه المسكينة . ويهرول بولونيوس الى الملك ، عم هملت ، ويخبره كيف ان هملت احب اوفيليا وكيف ان اوفيليا ابت ان تستقبله وان تتناول رسائله . وتلقى اوفيليا هملت في الساعة التي كان يفكر فيها بقاتل والده ومختلس عرشه فيقول لها انه لا يحبها وانه لم يشعر نحوها بأي حب .

ويعني بذلك ان الحب في هذا العالم البشع ليس سوى وهم من الاوهام وانه هو لم يبق من عالم الاحياء . ولكن اوفيليا لاتدرك مغزى كلام هملت . وحين يقتل هملت والدها تصاب هي بالجنون وتقع في نهر فتموت . وهكذا قتل هملت حبيبته اوفيليا .

وبديهي ان مأساة هملت او بالاحرى مأساة اوفيليا غريبة معقدة . فالعاشقة المسكينة تؤخذ بدسائس والدها التي تطيعه كالآلة وبمصير حبيبها في الوقت نفسه . وفي هذا طريقة اخرى من طرق قتل المحبين لاحبائهم وهي تضحية الحبيب بحبيبه في مسايرة مصيره المحتوم .

واذا راجعنا مأساة « فوست » لغوتي نقع فيها على مثل هذا الحب القاتل . ففي مرآة سحرية يرى فوست على حين فجأة اجمل وجه في العالم . ويكون فوست قد تعاقد مع الشيطان مفيستو وشرب شراباً سحرياً فيقول له مفيستو : « بهذا الشراب سترى في كل امرأة وجهاً كوجه هيلانة هذه . » ولا يعتم الامر ان يرى مرغريت فيؤخذ بجمالها ويقع في حبها . على ان مرغريت طاهرة نقية فيوجب فوست على الشيطان ان يأتيه بها في الحال . فيطاب الشيطان فرصة لان الفتاة طاهرة بريئة ليس له عليها اي سلطان . ويذهب مفيستو فيجيء بحقة جواهر ويقدمها الى مرغريت ممهداً لهديته بكلمات معسولة خداعة . وهكذا يقتل فوست طهارة مرغريت ، على ان الحب يواصل طريقه المحفوف بالمصاعب والعراقيل والاحابيل .

ورب قائل : واذا تصورنا حباً كاملاً . اذا تصورنا حبيباً وفياً لا يصدق بسرعة كعطيل المغربي ، ولا يساوره القلق كزوج كريز يليديس ، ولا يذهب الى الحرب كزوج جنفياف ، ولا يكون شرها كفوست ، بل يحب بقلب صادق وبكل روحه فماذا يكون ؟

يكون ان الحب نفسه يرقى الى الموت كشعلة تصعد الى العلاء في سماء صافية الاديم . وقد لا يكون فينا من يجهل حب تريستان وايزولت . فقد احبت ايزولت قاتل خطيبها وهو قرصان يدعى مورهول . وكانت تعتقد ان هذا القاتل يدعى تانتريس ، ولما علمت انه يدعى تريستان وانه جاء يطلب يدها لعمه الشيخ الملك مارك جنت من شر الغضب وحاولت ان تقتله . ولكن احدى الوصيفات طرحت الشراب السام من القدح الذي اعدته ايزولت ووضعت مكانه شراب الحب .

الدكتور فوست

وحينئذ ادرك الحبيبان ان الحب البشري لا يطفىء الغليل فهو يخلق الحياة البشرية ولكنه يتجاوزها ، ولا يعجل نبضات القلوب الا ليوقفها في الغبطة العظمى ، في الغبطة الابدية ، فكل ما نعرف من الحب ليس سوى الدرجة الاولى من سلمه . فهو لا يكمل الا في ما وراء هذا العالم الناقص . والى ذلك العالم الكامل ، العالم الجديد ، اراد تريستان الذهاب فقال لحبيبته : « اتتبعينني يا ايزولت ؟ » وهل بوسع ايزولت ان لا تتبعه الى ذلك العالم الذي يعيش فيه الحب حياة ابدية ، الى ذلك العالم الذي لا يبقى فيه معنى لا للحياة ولا للموت ؟



بقلم محمد النقاش

تعالوا

معي نزر رئيس التحرير ، في الذ دقائق نهاره ، في اللحظة الذروة التي تكلل جهوده وجهود معاونيه . نحن في مكتب فخم هو جزء من بناء ضخم ، يحتل شارعاً من اكبر الشوارع ، في احدى عواصم العالم ، نرى احد الكتبة يدخل على رئيس التحرير ويضع امامه الجريدة وهي لا تزال طازجة رطبة ، باضتها المطبعة منذ هنيهة ، فيلقي عليها رب المكتب نظرة فطنة عجلى ، ويمهرها بتوقيعه راضياً مبتهجاً . ويفهم الكاتب المنتظر ان التجربة الاخيرة ناجحة ، وان بوسع هذه النسخة الاولى ان تتوالد وتتكاثر وتتناسل : مليونا ومليونين وثلاثة ملايين حتى تملاء الدنيا ... فيحملها الى حيث المطبعة ، في مكان بعيد على الاغاب ، شاسع يستوعب ما شاء من الورق وربما مصنع ورق بامه وابيه . ويتدفق شلال المطابع بجرائد مطوية تكون في انتظارها السيارات والدراجات والطائرات ، توزعها في شتى انحاء العالم . ويقف هذا الشلال بين حين وحين ، ليضاف الى بابي آخر ساعة وآخر دقيقة ، خبر انقلاب او زلزال او فيضان نقلته اللحظة اسلاك البرق او امواج الاثير

ويغادر رئيس التحرير مكتبه وقد انتهت مهمته . ويقصد الى البيت او النادي ، وقد القى عبئه عن كتفيه وهو واثق بان هذا الحب الحافل بشتى المشاكل والالوان ، الممتطي ظهر صحيفته ، سيصيب اهدافه كلها . فقد سخّر له ابرع الاقلام ، وحباه باحسن التنسيق والتنميق وزوده باسرع الاخبار واهم الحوادث وزانه بامتع الصور ، غير ناس اشهى الموضوعات واشوقها ، وغير مهمل على الاخص ما يهم المرأة من اساليب التجميل والخياطة والطهي وقصص الحب والمغامرة ، ولا متقاعساً عن اشباع فضول رجل المال وبطل البورصة وهاوي الرياضة وفارس الملاهي والسهرات . انه على يقين من ان لقمته السائغة هذه ستلتهمها عقول القراء هاضمة كل ما فيها . واي بأس ان دس بعض السم في الدسم ، واي بأس ان مزج بعض الزيف والبطلان بالحق ، ما دام قد حرص على الدسم والحق في الدرجة الاولى . وكال السم والزيف بقدر محتوم خالعاً عليهما بحكمة وفن كل براقع المنطق وحلل الاغراء ؟

لا ، انه يعرف جمهوره ويدرك اذواقه الى حد بعيد ، فهو يعلم ما يحب وما يكره . فلا عجب ان اعطاه اكبر قسط مما يحب ، واقنعه تدريجاً بحب ما يكره ، مجرعاً اياه المر باصغر الجرعات وابدع الاقداح .

ويتساءل صاحبنا رئيس التحرير ، وهو في طريقه الى البيت او النادي ، عن الاهداف التي سيخرقها غداً في الصميم مستعرضاً حوادث اليوم : ضربة كتف لمعونة ابن حزبه او نصيره او مرشحه السياسي فلان ، بعرض مبرة او مأثرة له عرضاً طناناً يكسبها اكبر نصيب من الاهتمام والانتباه ، وضربة معول في خصمه بنشر فضيحة صغيرة او مختلقة اختلاقاً فنياً ، ومقال لاديب كبير او اقتصادي ذي شهرة في تحبيذ مشروع او الحط منه ، وعرض سياسي يثير القلق والشبهات حول حادث حدود طارىء ، صاعداً او هابطاً بقيم البورصة واسهمها . وغير ذلك كثير ، موضوعة كلها في الاطار المحكم الجميل الذي تحدثنا عنه اعلاه ، من الاخبار السريعة الصحيحة التي لا تقبل الجدل ، والموضوعات المتنوعة الشائقة التي لا تبقي على ملل . ثم تلك الاعلانات التي لا تحيا بدونها جريدة لكثرة ما تدل من لبن وعسل ...

ويصل صاحبنا الى النادي — نعم الى النادي لا الى البيت — فخير لنا ان نراه في النادي . وما يدخل القاعة الكبرى حتى تشخص اليه الابصار ، وتهرع اليه الحسان من كبريات السيدات ذوات المطامع في الشهرة والجاه لهن اولبعولتهن او لاخدانهن ، وليس الرجال في الترحاب به واحاطته باقل اكتراثاً منهن . كيف لا وصحفينا صاحب حول وطول ، بيده الخير والشر ، يعز ويشهر ويوصل من يشاء ، ويذل ويخمل ويبقي حيث هو ، من يشاء ؟ انه ليس برئيس ولكنه يصنع الرؤساء ، وليس بوزير ولكنه يخلق الوزراء ، وليس بنائب ولكنه يوصل النواب .

ذلك هو الصحفي ، وتلك هي الصحافة في الامم المتقدمة هذا العصر . انها لم تبق السلطة الرابعة في الدولة بل السلطة الاولى . لانها الاداة الوحيدة للاعراب عن هذه القوة الكامنة الجديدة التي يسمونها الرأي العام ، في الشعوب الراشدة . بل ان الصحافة لا تكتفي بالاعراب عن رغبات الرأي العام ، لانها تسيره وتقوده او توقفه وتلجمه احياناً كثيرة ، بفضل الثقة التي يوليها اياها . وهي على هذا الاساس منشار صقالة ، رابح في اللعب مع الرأي العام وعليه ، طالعاً نازلا ...

ان الجريدة في عصرنا ، دليل على اكتساح الثقافة وانتشار التعليم ، وتزايد قوة الفكر . وهي الصف الاخير الذي لا ينتهي المدرسة . وهي لذلك تتناسب في رقيها مع المدرسة في كل بلد ، فحيث تؤدي المدرسة رسالتها التنشيئية والتثقيفية خير اداء ، تقوم الصحافة بمهمتها التكميلية احسن قيام .

قلنا ان الجريدة مظهر من مظاهر قوة الفكر . بل هي اهم هذه المظاهر وانجعها وان لم تكن ارقاها وانقاها كالكتب مثلاً . فالكتب تتطلب جهداً ووقتاً لمطالعتها ، كما تقتضي وقتاً وجهداً في تحريرها . والوقت في عصرنا نادر ثمين ، والجهد غير متوفر دائماً ، لانه مشغول في شؤون الحياة الشتى . وليس للانسان الجديد الراغب في غذاء معنوي يومي ،غذاء يرضي نهمته الفكرية الملحة دون كبير عناء. ويقدم له في الوقت نفسه مؤونة تنفعه مباشرة في امور معيشته ، ليس له الا الاخذ بهذه الكتب الصغيرة الدورية المصنوعة على عجل ، التي يسمونها صحفاً، يجد فيها ان لم نقل الغذاء الروحي المطلوب،فظلاً على الاقل لهذا الغذاء،وسراباً يطفىء غلة الظمآن من بعيد .

وهكذا باتت الجريدة اليومية صنو الخبز اليومي ، لا مفر منها للانسان العصري الآخذ بنصيب من الثقافة . ومن هنا مصدر قوة الصحافة التي لا تنضب . فكما يحتل الخبز من اطعمتنا المكانة الاساسية ، رغم انه ليس بالذها ولا افيدها ، كذلك الجريدة كسبت جبروتها من العادة والتكرار ، فهي آخذة بخناق قارئها صباح مساء ، غير تاركة له فرصة في التنفس او الانفلات ، لا تنفك تمهره بطابعها وتملي عليه ارادتها وتفرض وجهات نظرها . كل ذلك وهي تاركة له الوهم ، بانه السيد ، وانها لا تصدر الا عن رأيه ، ولا تتوخى الا التعبير عما يجول في نفسه من عواطف ورغبات . وقدرة الصحافة هذه ، لا تخضع للمبادي. في كل بلد ،بل هي كلية مطلقة حيثما كانت ، لا فرق بين ديموقراطية وديكتاتورية . والفرق الوحيد انها طليقة حرة في الاولى ، مقيدة مغلولة في الثانية . فالديكتاتور لم يستطع القضاء على الصحافة او عدم المبالاة بها او الاستغناء عنها، بل اشتراها دفعة واحدة ، واستغلها لمآربه وكانت المروج الاول له ،والدعامة الاساسية رغم انها مغلولة . ولا شك ان الصحافة الحرة افعل في الاقناع . ولكن الصحافة خبز لابد منه ، وكما يقنع احدنا بخبز اسود او مخلوط في الشدائد ويعتاده ويتذوقه في النهاية بعد ان يكون صدف عنه بادىء الامر ، كذلك الجريدة يقنع بها مكرهاً كيفما كانت ، مادامت تؤمن له نصيبه المعتاد من القوت الفكري المستعجل .

وبينما نرى الصحف في البلدان الديكتاتورية ذات لون واحد ، ومرمى واحد ، كالخبز الموحد في اكثر بلدان العالم هذه الايام ، للقمح فيه نصيب معين ، وللذرة او الشعير نصيب معين ، وقد تكون نسبة الشعير فيه اكبر من نسبة القمح ، نرى ان الصحف في البلدان المتمتعة بحرية القول ، كثيرة الالوان . فهنالك جرائد العقيدة وهنالك جرائد الاحزاب ، وغالباً ما تمتزج جرائد العقيدة بجرائد الاحزاب ، لان الجريدة تكون لسان حال الحزب ، وللحزب عقيدته المعينة . وهنالك جرائد يسمونها جرائد اخبارية ، اي انها خاو من كل نزعة ولون ، مستقلة عن سائر الاحزاب . ولا يعني ذلك انها زاهدة في العقائد والاحزاب . ولكنها تخدم العقائد بشروط معينة ، وحسبما يتراءى لها او حسبما يروق الجمهور ، وهي لا تخدم حزباً معيناً ، ولكنها لا تضن بخدماتها على كل الاحزاب مسترشدة ، اما بالمصلحة العامة ، واما بالمصلحة الخاصة .

ولجرائد العقيدة او الرأي قيمة واحترام اعظم . ولكن قراءها اقل ، ومواردها اهزل ، فاصحاب الرأي الثابتون على آرائهم الذين لا يحيدون عنها مهما تقلبت الظروف قلة في العالم . كما ان استمرار الجريدة سنين طوالا على مناصرة رأي معلوم ، والنظر الى سائر مرافق الحياة وتطوراتها من خلال نافذة هذا الرأي ، قد يشيع الملل في القراء ، لا سيما وان السواد الاعظم ميال الى التنوع والتغيير .

أما اذا كان لمثل هذه الصحيفة حزب وراءها ، يشد من ازرها بشتى الوسائل المعنوية والمادية ، فرواجها يتوقف عندئذ على مبلغ قوة الحزب ، واتساع موارده . والى جانب هذه الصحف ، تقوم الصحف الاخبارية التي يمكن ان نسميها « تجارية » . فهي لا ترعى الا مصلحة انتشارها ، ولا يهمها الا ارضاء اكبر عدد ممكن من القراء . وهي مقبلة على كل ما من شأنه ان يعزز موازنتها ، ويزيد مواردها .

تلكم هي الصحافة في العصر الحاضر في العالم المتقدم، وان سألتموني عنها في بلادنا وانا احد خدامها اجبتكم : تطلعوا الى المدرسة والى نسبة الامية ، والى ما وصل اليه الرأي العام من درجة الرشد والى مبلغ جوع الفرد للمطالعة والاطلاع ، ثم احكموا لصحافتنا او عليها . ولكن ما من شك انها تسير قدماً نحو العلاء ، وانها آخذة في بسط سلطانها . ما دامت البلاد في نهضة ، والشعب في تفتح ، والثقافة العامة في ارتقاء .

الشعر النبطي في نجد

بقلم أحمد عبد الجبار

●

ان امر الشعر لغريب . هذا المزهر المشدود على قلوب العرب منذ فجر تاريخهم حتى اليوم . هذا اللحن الخفي الذي تترنح له نفوسهم وتجن به افئدتهم وانك لتنزل بالحاضرة فلا تسمع الا الشعر وترد البادية فتجده بانتظارك ، وفي كل بلد له رنة ، وفي كل حي له ضرب آخر من الفن . وكم من قبيلة شنت الغارة على رفيقتها لبيت من الشعر وكم من حزازات تأصلت بسبب الشعراء . ان هذا السر الخفي يكاد ينصب على وتده حياة بني الصحراء .

ولقد عرفت النجديين كمن عرفت من العرب فوجدتهم اشد حماسة للقريض ولمست فيهم من دقة الحاسة ورهافة الشعور ما ذكرني بالاجداد الاوائل فالنجدي اذا تحدث عن الحرب لا يفوته ذكر اناشيدها واذا استملح شيئاً حرص كل الحرص على التمثل ببيت فلان وفلان واعم الشعر في نجد ما يسمونه بالنبطي وهو لا يمت لانباط البلقاء ومداين صالح ومعان بصلة وانما هي صفة اطلقت عليه نسبة الى نبض الانسان واختلاف دقاته وقد قلبت « الضاد » الى « طاء » مراعاة للهجة القوم المتبعة ويقابله لدى اهل الحجاز الشعر « الحُميني » وهذا النوع من الشعر ، اي النبطي ، هو دون الفصيح وارقى من العامي في سبكه وحبكه وهو موزون تراعى فيه القافية ويلتزم الصدر بالصدر والعجز بالعجز في اكثر الاحيان ، ولغته هي لغة الحياة اليومية مع صقل وتفنن واما الوزن فانه مستمد من ضروب سير الابل ويسمى بحسب نوع السير فهناك الذميل والوجيف وهناك الوخد والرسيم وعندما تسمع نغمة الذميل تشعر بمشي الناقة اللين وتحس باضطرابها في التخويد وعدوها في الرتكان الى غير ذلك من المألوف ولا بد لي ان اذكر بان السيارة لما اخترقت حدود الجزيرة وعرفها النجديون استنبطوا اوزاناً للشعر يشبه وقعها سير السيارة وان الحداء الجميل اخذ يتطور الى انغام جديدة فيها من الروعة والفن ما يبعث في النفس طمأنينة وسكونا غريبين .

واما اغراض هذا الشعر فمتباينة مختلفة تبعاً للظرف الذي يحيط به غير انها لم تتعد اصول المدرسة القديمة من الغزل والمديح والهجاء والرثاء الى ما هنالك من ابواب الشعر المختلفة ولكن مدرسة النجديين لها قوانين متبعة تفرض على الشاعر نفسها فرضاً فالغزلي لابد له ان يكون سلس اللفظ جزله حلو العبارة قادراً على الاتيان بتشابيه جذابة تحمل السامع على المقارنة وتدنيه من شيء حسي ملموس .

واذا اردنا ان نتحدث عن غزل النبط وجب علينا الحديث عن (الدقيس) تلك الشاعرة الرقيقة التي يتناشد اهل الجزيرة قصائدها ويطربون لانغامها وتتلخص قصتها في انها احبت رجلاً له مكانته في قبيلته وتحول الفوارق الاجتماعية بينها وبينه فتندب حظها العاثر وتتعطف والده فيأبى منحها اي عطف وتثور نفسها فتقول :

أنا هواي غليم (١) من مع الهور (٢)
هو عشقتي من ناقلين (٣) اتفاقه (٤)
شوق الظليم (٥) اللي تحدر مع الخور (٦)
دم القرى (٧) يجري على كرش (٨) ساقه
هو صار لي عوقن (٩) وانا صرت عاثور (١٠)
والكل منا صار شوقه شفاقه (١١)
يلعب بقلبي لعبة البوش (١٢) بالبور (١٣)
ويومي (١٤) به أوماى (١٥) العصا بالعلاقه (١٦)

ومعنى الابيات نشرحه كما يلي :

انا حبيبي غلام من جنوب العراق (لابعاد الشبهه) ومن حملة البنادق يكر كذكر النعام مع رأس الخليج وعلى ساقه آثار دم الصيد ولقد اصبح عائقاً لي وصرت عثرة له وشوقنا لبعض جد عظيم وهو يلعب بقلبي كما يلعب الصغار لعبة البور ويطوح به

كالحبل المعقود بالعصا .

وهذه الصورة لا تستساغ الا اذا فهمت جيداً وجمالها في سذاجتها وتمثيلها الحياة البسيطة وما تحمل من تفكير بسيط . وقد نالت الدقيس بسبب غرامها كثيراً من الذل والهوان ولكنها منحت عطف القبيلة ووالد الحبيب وبسم لها الحظ فتزوجته وبهذا انتهى الفصل الاخير من روايتها .

وعند ما تدق طبول الحرب ويرن صداها لا تجد نجديا يتوانى عن خوض غمارها انهم شغفون بالقتال الى حد بعيد ويعتبرونه ضربا من الرياضة وفي مثل هذا الحال يتبادر الشعراء لالهاب النفوس بالحماسة ويتسابقون في وضع الاناشيد الحربية والترنم بها لتسري بين القبائل . والغناء عامل كبير في نشر هذا النوع من الشعر ولكل آلة موسيقية وزن خاص واليك البيت التالي فقد سمعته يغنى على الربابة :

يا ناشِدٍ عنّي تَراني اشْلَيْويحْ

ذيبٍ على قطع الخرايم عَزُومي

اي ايها السائل عني انني كثير التنقل والاسفار كذئب له عزم على قطع المسافات الشاسعة .

وعند ما وقعت الحرب اليمنية السعودية الاخيرة كان الجيش السعودي يترنم بالبيتين التاليين :

ذيبٍ عوى بديارْنا

ودْبارْ حيّنا وراهْ

ياذيبْ جوكْ خيارْنا

بْزْرَجْ يوضي سَناهْ

ومن النبطي الحائلي الابيات التالية :

انا على لانْ ورَبْعي على لانْ

ومخالف وسْري وسْرْ الجماعةْ

اضربْ على القاسي ولو صرتْ بلشانْ

وعند الولي وصْل الحبل وانقطاعه

اما تحي عقود لولو ومرجانْ

والاّ فهي لِبليس يطيرْ بشْماعه

النّاسْ ما تسقيكْ لو كُنتْ عطشانْ

لعادْ ما شربْ الفتى من ذراعهْ

لاني ولَدْ شاوي أرْضعْ من الضانْ

ولا اقبلْ لِطمن النفسْ عقبْ ارْتفاعهْ

هنا مضاء العزيمة وثبات النفس على رأي سنته لها فيقول الشاعر انه على رأي يخالفه فيه بنو قومه وهو مصمم على المضي بما يعتقده صوابا فاما عقود لؤلؤ ومرجان واما نهاية مرة وعلى كل فالانسان اذا عطش لا تسقيه الا يداه وشاعرنا ليس رضيعاً حتى يتردد . انه يأبى اذلال نفسه ما دامت في عزها وهذه الابيات البسيطة تمثل النفس العربية الابية باجلى مظاهرها وخصوصاً في فرديتها وانانيتها .

وفي الشعر النبطي حكم بالغة ووصايا جمة اشهرها لابي مالك وبه مراثي جميلة وهو يشتمل على كل الاغراض ويمثل جميع وجوه الحياة ولست ادري العلة حقاً في انتشار هذا النوع من القريض الا لانه اقرب الى نفوس الاعراب دون سواه فهم يفهمونه جيداً ويحفظونه غيباً ويتناشدونه في مجالسهم وازيد بان بدو العراق واليمن وسوريا والبقية الباقية من الجزيرة يفهمون النبطي على انواعه المختلفة ويطربون لتعابيره وصوره الاخاذة رغم تباين اللهجات واختلافها .

وهناك نوع جديد من الملقات يأخذ فيه الشاعر بنظم كل بيت على كل حرف من حروف الهجاء سواء في الغزل او في المديح .

وفي الشعر النبطي حداء الصحراء وحنين الكثبان وغناء السواقي وصليل السيوف وكنت اود ان اشرح باسهاب عن شعراء الرياض وشعراء عنيزة وبريده والعجمان ومطير وغيرهم وغيرهم وأريك كيف تثور بهؤلاء القوم نفسية ملتهبة حتى لتأخذ الروعة كبيرهم فتسمعه يدمدم بالنبطي وتخلب النغمة صغيرهم فيحدو بالنبطي وتندفع القبيلة كلها فتردد البادية صدى الذميل والرسيم والرتكان كل ذلك من النبطي ولكن انى لي ذلك وقد نأت الدار ووهنت الذاكرة وانستني الايام ما كان يجب ان لا انسى .

والخلاصة ان الشعر النبطي في نجد هو ادبها ولا ريب ففيه ثمرة افكار شعرائها وبه تذكى نفوسهم وتتجلى ابصارهم ويطل لهم الامل من كوة الابعاد .

احمد عبد الجبار

(١) غلام (٢) من قبائل العراق (٣) حاملين (٤) البنادق (٥) ذكر النعام (٦) رأس الخليج (٧) الصيد (٨) مقدمة (٩) عاتق (١٠) عثرة (١١) منية (١٢) الاطفال (١٣) اللعبة المعروفة لدى السوريين (بالعصفورة) (١٤) بطوح (١٥) ابناء او تطويح (١٦) العقدة او المقلاع .

مصدور يستقبل العام الجديد

بقلم
الدكتور حسين سري الدهن

هوذا الساعة تدق ، فاصغي يا امــاه اذا كانت تبلغ الثالثة عشرة ، ها قد بلغت الحادية عشرة وكأني بتلك المطرقة ترتفع لتضرب الضربة الاخيرة ، واخالها الان متأرجحة في الهواء تشرف من عليائها على عامين احدهما يولي الادبار بين هتاف الفرحين وانات المتألمين وثانيهما يشد رحاله ليسير في موكب الاجيــال . وهذه المطرقة لم تزل ماضية في اهوائها لا تلوي على شيء وجل ما تبتغي هو ان تضع رأسهـا المثقل بهموم العام على صدر ذاك الجرس الصبور الذي لا يميز الضربة التي ستنقض عليه عن غيرها من الضربات ذوات الميزة التاريخية .

اصغي جيداً يا اماه ها قد دنت من الجرس وانا الذي تقاس حياته بالايام وربمـا بالساعات اتمكن من قياس هذه اللحظة القصيرة التي تمر بين ارتفاع المطرقة وانقضاضها كأني بذلك احاسب الدهر على ما لاقيمة له من الوقت في نظار الاصحاء ذوي الاعمار الطويلة ، وهكذا يشخص الكثيرون ايضاً من رفقائي في هذا العالم وفي هذه اللحظة الحاسمة من العام الى ساعاتهم كأن بيننا سلكاً حساساً غير منظور يصل عواطفنا ويوحد نظرياتنا في الحياة ويكسبها لوناً خاصاً من فلسفة لا يمكن الانسان ادراك كنهها ما لم يدفع الثمن غالياً وهل اثمن من الحياة يا اماه .

والآن قد وصلت المطرقة الى الهدف الذي تبتغيه واصبح بوسعك وبوسع غيرك من الاصحاء سماع صوت هذا الاحتكاك ، وهــا هي ، تلتصق بالجرس فتدون بذلك آخر لحظة من حياة العام المحتضر المثقل بالمتاعب والالآم بما في تلك المتاعب من حلاوة وما في تلك الآلام من لذة . ومن منا صفا له العام بكامله ليقول لنا اذا كان للحياة من معنى ان لم تتخلل حلاوتها مرارة ولذاتها الآلام وصحتها مرض وعسرها يسر ؟.

ها هي ، قد اطالت التصاقها بالجرس كأنها نشوانة بالخمور التي تسيل في انحاء العالم ممزوجة بالدماء والدموع ، وستبقى ملتصقة به ساعة كاملة تفتتح بها عاماً جديداً ، فمن منا قاس الاجيال ينبئنا عما اذا كانت هذه الفترة التي تتخلل انخفاض المطرقة وارتفاعها ليست اطول من العام الكامل بالنسبة الى الاجيال المــارة في معابر التاريخ . وكأني بجرارتيها قد تغلغلت احداها بالاخرى على اختلاف المعادن والميزات الطبيعة واصبحا كأنهما جسم واحد ، فمن منا يدرك اذا كانا متعانقين ام يمعنا في بعضها نهشاً كما تمعن الجراثيم في نهش خلايا رئتي دون تردد ولا هوادة .

ألا ترين يا اماه ان هذه الجراثيم السفاكة لا تنهش رئتيَّ الا طمعاً بقوتها الضروري وانها بريئة بالنسبة الينا نحن الذين نمعن في الحيوانات قتلاً وتعذيبــاً ليس طمعاً بالقوت فحسب بل تشفياً وتعدياً لا مبرر له في غالب الاحيان ، اولا ترين ان تلك الجراثيم تثأر لاخواتنا الحيوانات العجماء منا ؟ وما اعدل الجزاء لو كان من نفس العمل .

لماذا لا تطفئين هذا النور الضئيل يا اماه كما يفعل سائر الناس الذين يستقبلون العام الجديد ألا ترين ان بهذا تتحول البصائر الى التحديق بالتصاق المطرقة بالجرس؟ او لا ترين بالرغم من هذا التحديق الموحد ان وجهات النظر كثيرة الاختلاف أليس لان حاسة النظر في داخل الناظر تدل على ظاهر المنظور ، وان باختلاف تلك الحواس واختلاف العوامل المؤثرة عليها تختلف الوجهات وتتنوع التفاسير والتقاويل ؟ ومن منا



كان مجرداً من العوامل الداخلية خالياً من الاهواء الخاصة ليكون صالحاً بان يرجع اليه في الحكم بين القبلة والنهشة ؟ اولا يشعر احدنا بوقع قبلة على شفتيه كوقع سهم يخترق احشاءه بينما يتلذذ بنهشة حادة تسيل دماءه فتزيده نشوة ولذة !

هل ما زلت تسمعين يا اماه صدى الضربة الاخيرة من ساعات العام المنصرم ذلك الانين المتموج الذي يصل العام المدبر بالعام المقبل والذي يؤلف اعذب حلقة في سلسلة حياة الاصحاء ، ويشد اذيال المصدورين مثلي الى عالم الابدية ؟ وقبل ان يقف الارتعاش الناتج عن اصطدام المطرقة بالجرس يكون ذلك الصدى قد تلاشى في اذان السامعين المطبلين المزمرين الصاخبين اللاعبين تلك الاجواق البشرية التي يسخرها الدهر مرة في بداية كل عام ليسخر من ضحايا بني الانسان . اما عندي وعند امثالي من الذين شحذت مخيلاتهم الآلام والذين لا يعكر صفو سماعهم صخب الصاخبين ولا هتاف المتهوسين فذلك الانين المنبعث من شفتي العام المحتضر الذي ترك وراءه اوتاراً متقطعة وضلوعاً مكسرة وكؤوساً محطمة واشلاء مبعثرة ومهجاً دامية لم يزل يرن في اذاننا ويتجاوب صداه في رئاتنا المجوفة وهياكلنا الخالية .

والان تقدمي يا اماه وارفعي الورقة البيضاء عن صدر هذا التقويم السنوي الجديد لتبدو من تحتها الصفحة التي تحمل الرقم الاول من العام الوليد ثم قولي لي ماذا عساي ان ادون عليها اسوة بسائر الاصحاء ، ألا تعلمين ان هذا يدون عليها تاريخ زواجه وذلك تاريخ خطبته وذاك تاريخ مزاولته احدى المهن التي تفتح امامه ابواب الكسب واللذة . اما انا فادون تاريخ العام الثاني لمرضي والشهر الثاني للازمي الفراش واليوم الثالث لرؤيتي اسطر الفناء تخط بدم مهجتي على مناديل يدي ، ومع هذا فانا غير آسف على هذه الحياة . وفي هذين العامين الاخيرين من حياتي قطعت شوطاً بعيداً في تفهم اسرار الحياة واني لذلك اسر في اذنك للمرة الاولى والاخيرة بان في علم الغيب سراً كامناً لا يمكن للحياة ان يكون لها قيمة ومعنى دون الوقوف عليه . اما ان يبعث الانسان الى هذا الوجود ليمضي عشرة اعوام في العزلة وعشرة في المراهقة بما لهذين العقدين من قيود وشروط وانظمة ومدارس وتعلم وعشرة اخرى في تفهم طرق الحياة والكسب ، كل هذا ليتمتع بعد ذلك بحياة اذا طال امدها لا تعادل ما سبقها من فترة الاستعداد لها . وهو الى جانب هذا لا ينفك يحارب ويناضل مقاوماً المدافع والدبابات والقذائف وكل مبتكرات التدمير والفناء ثم يسقط فريسة جرثومة ضعيفة حقيرة هي والملايين مثلها لا يمكن ان تبصرها بالعين المجردة فهذه مهزلة الحياة ... مهزلة الا اقامة حفلات لاستقبال عام جديد قد يكون شراً من الذي سبقه من سائر الاعوام .

وكأني باصوات التسابيح ترتفع من بين دخان البخور المحترق في ساحات القتال وتشق طريقها الى السماء طالبة من الله ان يفتح هذا العام بانتصارات باهرة تفني اعداء المحاربين اخوانهم بالانسانية واعدائهم في الوطنية وابناء الله الذين يطلبون منه المعونة ! وكأني بالمقامرين والثملين بنشوة الراح قد نهكت قواهم وما لوا الى الرقاد طمعاً بالاحلام المعسولة والاماني العذبة ، واري عيني ايضاً قد تعبتا فاغمضيها لي بانامك الناعمة الحنونة طمعاً بان افتحها ثانية في عالم الابدية حيث لا اسرار ولا اوهام ولا هموم .

١-١-٤٣ الدكتور حسن سري الدبه

راقصة

ليت تدرين انني بك معجب   يا فتاة اصبو اليها واطرب
يا ملاكاً طوراً وطورا رجيماً   وقطاة اذا اردتِ وعقرب
يا هزارا اذا دعاك حبيب   وغراباً لمن كرهتيه ينعب
يانسياً ان تسمحي عن رضاء   وهجيراً ان ترغمي يتلهب
انت شخصان في الحقيقة ضدا   ن وان بُنتِ واحداً يتقلب
او جنانان ، واحد لبني الطيـ   ـش مباحٌ ، وآخر يتحجب
لم يزدني هذا التلوّن الاّ   رغبة فيكِ ، انني اتقرب
انت درس واي درس لمن ضلّ   بجواء هائماً يتعذب
انت معنى ، مازال يحتاج شرحاً   وانا الشارح الدقيق المجرّب

*

سكر الظامئون بالرقص والصو   ت فراحوا ما بين شاكٍ ومعجب
جعلوا منك ربة وجعلتـ   ـهم ضحايا هوى مشاع فيذهب
قد اسرتيهمو بغنجك حتى   ظن كل هو الحبيب المقرب
فتعالى من كلِ ركنٍ هتافٌ   بعثته عواطفٌ تتلهب
قد ملكتِ قلوبهم بخداعٍ   محكمٍ ليس منه للقوم مهرب
فاذا ما انتهيت من دورك المتقن   نام الهوى الذي كان يلعب
وخلعتيهمو كنعلك لما   لم يعد في غرامهم لك مطلب
ان ما تصنعين يصنعه النا   س ولكن بلا (ستارٍ) و(ملعب)

بغداد — نعمان ماهر الكنعاني





الاب الغريب ...

بقلم: سهيل ادريس

●

.. كانت لا تفتأ تحس الشباب يضطرب في صدرها قويا زاخراً بمعاني الفتوة ، فياضاً بوثبات الصبا ، على الرغم من كبرة علتها ، فأوهنت قواها وفتت في عضدها ، وهموم نالت منها ، وانتهت بها الى اليأس من الحياة ، والتبرم بالنـاس ... على انها مع كل ذلك لم تفتر عن انتظار شعاعة تنفذ الى حياتها ، فتضيئها بنور الحب والامل .

ولعل منشأ هذا اليأس ، ومصدر ذلك التبرم ، انما كانا من زوجها الذي هو مشف الان على الهلاك ، وليس هو الا هامة اليوم او غد ... فقد كان هذا الزوج المصدر الاول للشقاء ، بعد ردح من الزمن طافح بالهوى والاماني ...

لقد جلب لها هذا الزوج الوانا من المتاعب اخلق الهموم لا مخلص منها ، وأغرقها في خضم من الالم واليأس لا نجوة منه ولا مناص .

وكانت لتبث مشكاتها ، وتسري عن نفسها ، تجتزىء بالقول في اسى مرير ، وشجو مضطرم : « لم أخلق له ، ولم يخلق لي ... »

وكانت على يقين ان الحياة برمتها تؤيد هـذا القول وتدعمه ... ذلك ان بينهما هوة سحيقة من الفوارق في الحياة الاجتماعية ، فهو رجل غلف ، قاصر النظر ، خامل ذليل ، سـاذج لا يحذق اية مداورة ، همه الاوحد في الحياة ان يحصل قوته وقوت اولاده ...

اما هي ... فامرأة صناع ، بعيدة النظر ، نشيطة ، عزيزة النفس داهية تحذق ضروبا من المراوغة ، همها في الحياة ان تكون سعيدة على الرغم مما يعترض سبيلها من مصاعب وهموم .. وكانت لا تفتر عن الترديد .. « آه .. لو انهم تركوني اعيش كما كنت ... مع من كنت .. ولعلني ان اعود يوماً .. » ولا شك في ان هـذه الفوارق كانت كافية لتوسيع شقة الخلاف بين « الزوجين » فنشأ عن ذلك تباغض شديد ليس الى الحد منه سبيل ، وتنافر لن يجمعهما يوماً على رأي او نظر ...

ولم تكن « سلمى » لتستطيع التفكير بالتخلص من زوجها « رستم » .. وذلك لامرين ، اولهما ، انها ألزمت التزوج منه الزاماً وآخرهما ان ثمة شابا في البيت هو الامـل والرجاء كله ... هو « ابنهما » الحبيب « فهمي » ... :

وكأن كل من الزوجين يعتقد انه يعيش لاجل هذا « الابن » ويدخر الاماني والاموال له وحده ... ولن يتحمـل كلاهما ان يبتعد عنه يوماً ، بل ساعة ... واذن ، فقد قضي عليهما ان يعيشا معاً ، وحرم على احدهما ان يفكر بالتخلص من الاخر ...

اما هو « فهمي » فيحب والديه كليهما . غـير انه يأنس الى والده صورة لا يأنسها الى والدته ، على الرغم من انها حفية به ، تكن له حدباً وعطفاً لا يكنهما الاب ، وتعنى به عناية لا تماثلها عناية والده به .

وكان تعليل « فهمي » في ذلك ان لوالدته من الطباع الشاذة والعادات الغريبة ، ما ليس لوالده ... ثم انها ضيقة الصدر ، سريعة الغضب ، ليس من سبيل الى ان تغضي عن اصغر الهنات ، ولا عن ايسر الهفوات ... وكانت — لسبب او لغير سبب — تتوجه الى والده غضبى ، وتطلق لسانها السليط يلف كل ما يعـثر عليه من جارحات الالفاظ ... ولا يجد الزوج بداً من الاغضاء على مضض وان نفسه لتثور ، وعروقه تكاد تتفجر .. ولكنه لا يحير جواباً لانه يحس احساساً قوياً بانها أقدر منـه واقوى .. لهذه الاسباب ولغيرها ، كان فهمي يؤثر خلق والده على خلق والدته . غير انه لم يكن ليظهر احداً على اية خلجة من خلجات فؤاده ، او اية بدوة من بدوات ضميره .. وهذا ما كان يدفع سلمى لاظهار اعجابها بولدها في اية مناسبة ، وابداء رضاها عن خلقه السهل المستقيم .. ولكنها كانت تخفي دوماً انها معجبة به لانه ... سر ماضيها ..

*

وكان فهمي يحيط « والده » بانواع كثيرة من العناية ، وهو

يرجو بذلك ان ييسر له في ايامـه الاخيرة ، كل ضروب الراحة والامن ... وكم كان يلفي نفسه سعيداً اذ يركن الى « والده » فيخلد الى حنانه ، ويستنيم الى عطفه ، فينعم بالابوة الرحيمة البارة ومثل هذا كان شعور « رستم » نحو فهمي حب عميق ، وحدب بالغ .

ويستفيق فهمي ذات صباح فيجد والده قد قضى ... وكم شق عليه ذلك ... كان لروحه اليف فهجرها ، وكان لقلبه ند ، فابتعد الى غير عودة ...

ومع ان فهمي كان يجد في كنف امـه عزاء وتفريجاً ، فانه كان شديد الاحساس بخلو قلبه ، ووحدة روحه .. وكان يأمل ان تنمحي ذكرى « والده » رويداً على مر الايام ، ولكنها لم تنمح ، بل كانت ذات اثر بعيد الغور في ضميره وفي حياته كلها .. وكانت اجلى ظـاهرة من اثر تلك الذكرى ، انه كان في وجوم عميق ، وكسوف متصل ، وسهوم لم تخف وطأته لحظة .

وكان فهمي يرجو ان تشاطره والدته سلمى حزنه ، وتقاسمه اساه ... وتنظر ذلك طويلاً .. ولكنه الفاها متحررة من اسار ذلك الهم ، ناشطة من عقال الحداد ، حتى كانت تمر عليها ساعات خالصة من السرور والجذل ، كأن لم يحدث ما هو حقيق ان يطبع نفسها بطابع التعقل والرزانة ...

وتنمحي من مخيلة « سلمى » ذكرى « رستم » كأن لم يكن بينهما يوماً لحمة من زواج ، او رباط من مودة ... وبينا يمعن فهمي في الذكران ... كانت سلمى تمعن في النسيان !! ...

منذ ذلك التاريخ ، كان لا بد ان يبدأ شيء ...

وشرع فهمي يعجب من سلوك والدته ، كانت تحاول جهدها الا تتوجه اليه بكلام ، كانها تخشى ان تنطق ، او كانما لسانها قد عقل وعي عن الكلام ... وكانت اذا تكلمت دعتـه الى ان يصدف عن الحزن ، ويتحرر من الهم ... وكم امل عليه ذلك ودفعه الى الظن بوالدته شتى الظنون ... ولم يكن من شك في ان الذي كان يضرم وقيد هذا الظن ان امه شرعت منذ وقت يسير بترك المنزل صباح مساء ...

وهكذا اصبح يشغل باله امر جديد ، فيرمض نفسه ، ويترعها باليأس والحزن .. ولعل هذه الهموم تراكمت عليه فاغرقته في جو كالح يزداد اسوداده يوماً بعد يوم ، هي التي جعلته يحس ان نفسه تنمو ، وضميره يكبر ... كان يشعر شعوراً قوياً انه قد اصبح رجلاً ، وهو ما زال في طيش الشباب ، ولامبالاة الفتوة .. وكانت تترعرع في فكره معان لا يحسها الا من خبر الناس وبلاهم ، وكان له في معاشرتهم تاريخ ...

ولكنه مع ذلك كله ، كان يخشى ان يسأل والدتـه سبب تركها المنزل تركا متواصلا ... حتى جاء يوم لم يستطع صبره الا ان ينفد فيه ، فهرع الى الباب ، الى حيث كانت والدته قبـل ان تخرج ، وتشجع وسألها بغير وعي ، وبشيء من التأثر :

— : هل لك ان تؤذنيني الى اين تذهبين ؟! ..

فبهتت لساعتها ، واحست في صدرها ضيقاً ، فازلقتـه بنظرة عجلى ، واجابته بجفاء :

— لا يعنيك ان تعرف ذلك ...

وانفلتت على عجل ، وخرجت من المنزل لا تلوي ...

وكانت الخفقات تتدافع الى قلب فهمي تتاليـاً ... ولبث لحيظة سادراً ذاهلاً ، يتنازعه شعور الخوف والاشفاق تارة ، وشعور الغيظ والحنق تارة اخرى ... وجالت مخيلته ساعة في المـاضي ، فاستبعث الذكريات ، واستدعى الحوادث ، وحاول ان يسبر سر ذلك التنافر اجتمع عليه والده طوال حياتهما ، فلم يعرفا لحظة اي قسط من الراحة ، ولم يتذوقا اي حـظ من الوداد والهدوء ... ايكونان اجتمعا على غير حب ، ونزلا داراً واحدة على غـير مودة وائتلاف ... او تكون الظروف ابت الا ان تجمعهما ، وهما في الحق ابعد ما يكونان عن ايجاد الالفة والتعاطف ؟! ...

وفي وقفته تلك ، كان يتطلع من خلال هذا كله ، الى خلق والديه كليهما ، فتبرز له صورة والدته متكبرة ، نفوراً ، لم تشع عيناها يوماً ببريق الخير والحق ، ولم تخص نفسها عن الطيبة والكرم بل انطوت على سر مكنون يزيده تعقيداً ما هي عليه من شذوذ ويلفي فهمي نفسه نافرة من هذا الخلق مزورة عنه ، مستنكرة اياه ثم تطالعه صورة والده وديعاً لطيفاً ، يتدفق الخير من عينيه تدفقاً ، وتتجمع سيماء الكرم والعطف على جبينه . وايقن فهمي اذ ذاك ان مساوىء والدته ، لم تكن الا لتجلو خصال والده ومحامده .. وعلى هذه الذكرى المؤثرة ، لم يكن لفهمي بد من ان تعين دموعه كبيرة محملة بآيات الحسرة والحنين الى ذلك الوالد الطيب الذكر .. وما كان دمعه ليرقأ الا بعد ساعات .

وكل ذلك كان يزيده يقيناً انه احب والده حباً لا يدانيه اي

حب ... حباً تمكن في ضلوعه وعروقه تمكناً متيناً ...

*

ومكثت سلمى على حالتها في ترك المنزل صباح مساء دون ان تأبه لفضول ولدها ، او تكثرث لظنونه الجمة .. وكان طبيعياً ان تنمو جرأة فهمي ... ومع انه كان يرى شكه بطهارة امه رهيباً عظيماً لا يتحمله شاب في التاسعة عشرة من عمره ، فانه لم يكن يستنكف عن الثبات في تحري حقيقة هذا الظن ..

وذات يوم ، شاء فهمي ان يستدرج والدته الى النطق بما يشغلها خارج البيت ، فاراد ان يبتدرها بالكلام حين عادت يومذاك مبتهجة النفس ، مترعة بالحبور .. ولكن التهيب ما لبث ان عاوده ، فآثر ان ينسى خطته الى غير ذاك الاجل ... وركن الى غرفته عازماً ان يأوي الى فراشه باكراً ، وشرع يخلع ثيابه على هينة . فاذا امه قد برزت على الباب ، واخذت تحدق فيه طويلاً . ثم تقدمت منه حتى اضحت على قاب قوس ... وامسكت بذراعه وقالت — وهي تتردد في التلفظ باية كلمة — :

— اسمع يافهمي ...

وفجأة رآها فهمي تعض على شفتيها .. وكفت ، كأنها عدلت عن الكلام ، وخرجت من غرفته اثر ذلك ... ومكث الشاب مبهوتاً : عما كانت تروم ان تتكلم ، ولماذا عدلت بعد ذلك؟

وكاد يوقن انها شاءت ان تعترف بشيء تمنعها عزة الام ، وتكبر المرأة ان تعترف به ! ... وكان ما انتهى اليه الشاب في ذلك يزيده يقيناً بان ظنه بامه يقترب من الحقيقة رويداً رويداً ...

لم ينم تلك الليلة الا غراراً ... كان ضميره يعذبه .. كان ينبغي ان ينتهي الى شيء محقق ليتخذ عزماً ... ومع ذلك ، فقد ازمع في اليوم التالي امراً ...

لم يشأ ان يستوقف امه اذ اوشكت ان تخرج في الموعد المعهود ، ولم يستفسرها عن شيء ، بل تركها تبتعد قليلاً عن المنزل فهبط السلم ، وراح يتقصص آثارها على خفية واحتراس ، وكان دائم الحرص على ان يفصل بينهما في الطريق مائتا قدم على الاقل .. وكان حين يتوقع ان تلتفت امه ، يختبئ في منعطف ...

ونجحت المرحلة الاولى من الخطة ... وتوقف فهمي عند باب مقصورة فخمة ، دخلتها امه بكل هدوء وسكينة حتى اذا طوتها الدار ، سارع الشاب يتتبع الطريق التي سلكت امه . ومكث في منعطف السلم يرى والدته منتظرة ان يفتح الباب ... ولبثا لحيظة ، واذ بالباب يشق ، ويبرز رجل فارع عليه سيماء اليسر والترف ... وتدنو منه « سلمى » فتبسط ذراعيها ، فيتلقاها الرجل على صدره ويستغرقان في عناق ... ثم تتخلص سلمى من ذراعي الرجل ، وترنو اليه بشغف قائلة :

— كيف اصبحت اليوم ياسامي ؟.

فيجيبها الرجل بسهولة ودون تكلف :

— بخير .. الحمد لله ..

ثم يدنو منها ، ويسائلها بلهجة فيها تضرع ورجاء :

— متى ننتهي يا سلمى .. الى م هذا البعد .. متى نجتمع عائلة سعيدة .. ألم تجهري له بالحقيقة ؟

— لا .. انني لا زلت اخشى ان ..

وهوت على كتفها يد قوية منعتها من ان تتم جملتها .. ودوت في ارجاء السلم هذه الكلمة الواحدة :

— امي ..

فالتفتت سلمى مرتاعة مذعورة . فالفت ولدها يحملق فيها والشرر يتطاير من عينيه . ومع ذلك فقد تماسكت نفسها ، وحافظت على رباطة جأشها ، فالتفتت الى الرجل الغريب وأشارت له ان يدخل ، ثم رددت بخفوت :

— فهمي .. فهمي ..

فمكث يحدق فيها .. وكادت شفتاه تفتران عن كلمة داوية ، لم تتح لوالدته ان يلفظها ، اذ هرعت اليه ، فقبضت على ذراعه ، وهبطت به السلم على عجل لم يعهد من امرأة . وكان فهمي يحاول ان يتخلص منها ، فما يستطيع .

وثمة في البيت ، ركن فهمي الى غرفته ، وراح يذرف الدمع بلوعة وشجو ..

وما لبثت والدته سلمى ان دخلت عليه ، فانتحت مكاناً بجانبه ، ونبهته اليها وهي تقول :

— اسمع يا فهمي .. كفكف دموعك ، وعد عن بكائك ، فاسمع الى قصتي التي هي قصتك ..

فتنبه من غفلته ، وانتصب واقفاً ، وابتعد عن امه نافراً بكرة ، وسار نحو الباب لا يلتفت اليها ، فصاحت به .

— « فهمي ، اقترب مني ، فسأجهر لك بالحقيقة ! » .

فالتفت اليها مروعاً ، وحدق فيها بعيون ملتهبة ، وقال بلهجة غاضبة :

— لا .. لا فائدة من الجهر بالحقيقة .. فهي واضحة جلية .. لن استمع الى شيء .. فانك لست بعد امي !.

لم يبد عليها جزع ، ولم يظهر اضطراب ، بل تقبلت هذا الكلام على رضى وهدوء ، ونهضت على مهل ، فتوجهت نحوه ، وامسكته بذراعه ، وجذبته الى مقعد قريب ، وجلست على مقربة منه ، ثم قالت دون ان تتوقف :

« الزموني الزاماً ان أتزوج من « رستم » . ولذلك فقط ، ازجينا العمر كله زوجين متباغضين ، اكرهه ويكرهني .. وشئت ان اتخلص منه وشاء ، وسعى وسعيت ، ولكننا كنا دوماً نصطدم بك .. فكان رستم يضن ان يفقدك بفقداني ويخيل الي انه كان لاجلك وحدك يحاول دوماً ألا يلتفت الي ، فيتخذ تجاهي عزماً يفرقنا .. ذلك انه كان يحيا لاجلك وحدك كان يراوده شك في انك ابنه ، ولكنه خدع عن نفسه .. لم يشأ ان يصدق انه كان عاقراً !.. ولهذا اعتبرك ثمرته .. ولده ..من لحمه ودمه .. واما انا ، فكنت اخشى ان ابوح له بالحقيقة ، واكشف له عن السر .. كنت اشفق ان يؤذيك او يؤذيني .. فصبرت حتى جاء اجله .. وحاولت كثيراً ان اظهرك على كل شيء ، ولكنني خشيت ان يكون وقع الصدمة عليك قوياً ، فآثرت ان أتريث وان ..

.. ولم يتح لها فهمي ان تتم ، اذ قد دنا منها ، وامسك بعاتقها مهتزاً مضطرباً مذعوراً وقال :

— « ولكن .. اية حقيقة .. اي سر ، ماذا تقصدين بهذا الكلام ..؟ »

فاستعادت « سلمى » رزانتها ، ونظرت اليه نظره فاحصة ، ثم استتلت :

— اجل ! آثرت ان اتريث .. بيد انك تعجلت الحقيقة ، وظننت بي الظنون ، واتهمتني التهم الجمة ، فلم ازدد الا اصطباراً ، حتى تنمحي من ذاكرتك صورة « رستم » ... صورة « ابيك رستم » ...

ولكنك لبثت ذاهل العقل ، شارد الفكر ، حتى عن لك اليوم ان تقتفر أثري ، فرأيتني هناك .. وعرفت ما عرفت ... والان ، ليس لي الا ان ابلغك انك لست ثمرة « رستم » الرجل الذي مات ... »

فانتفض فهمي مذعوراً مروعاً ، ونهض منتصباً يرتعش ، وصاح في ارتعاد :

— لم يكن « رستم » والدي ... ومن ذا يكونه ؟ !

فتساقطت دمعة كبيرة ، استعبرت بها عين سلمى ، وقالت وقد بدأ الخوف يهدها هداً ، والخشية تظهر على ملامحها ان يأتي فهمي عملاً لا تحمد عقباه ... قالت مرتعشة :

« احبني واحببته منذ عشرين سنة ... وعلقت منه قبل ان اتزوج « رستم » ... انما هو ... ذلك الرجل ، الذي رأيتني الساعة عنده ... سامي والدك الحقيقي ... الذي يذوب شوقاً الى رؤيتك ، ويود ان ... »

... وكان فهمي باهت اللون ، مصفر الوجنتين ، منخفض الرأس كأنه فقد وعيه . واذا به ينتفض مستعيداً حواسه ، فيتجه نحو الباب ، فتهرع اليه امه ، وتصرخ فيه مذعورة :

— فهمي .. الى اين .. فهمي ! ..

فتسمعه يتمتم اذ بلغ الباب :

— والدان .. لا .. لا استطيع .. لن احتمل ان يكون لي والدان .. ! »

وهبط السلم ، وراح ينهب الارض نهباً .. الى مقصورة ذلك الاب .. الغريب .. .. ..

سهيل ادريس



زيتيّة العينين

زيتِّيةَ العينين.. لاتغلقي.. يسلم هذا الشفق الفستقي
يسلمُ .. يامحبوبتي يسلم لغير هذي العين لم يلبق
حبيبتي.. عليكِ لا يعدمُ وشاحكِ الزُمردي النقي
قميصك الاخضر... من ياترى باعك هذا اللون قولي اصدقي
أمن ضفاف «السين» خيطانه واللون من «دانوبه» الازرق
أم من صغير العشب لملمته في سلة بيضاء من زنبق ؟
أم هو من شريان كُلِّ فتى ذبحته بالعين لم تشفقي ؟
زيتيّ.. يازيتي .. يار كعتي لعينها كالراهب المطرق ..
قُل للعيون الخضر ان تلقها : يسلم هذا الشفق الفستقي
شقراء... هذا القلب مانفعه ان كان في مثلك لم يعلق
عينك.. ام لبنان.. احراجه تضحك في موسمه المورق
ام كرمة «زحلية» تتكي عنقودها في الشمس لم يحرق
كأنما عينك وسط الضيا صفصافة تحت الضحى الزنبقي
بحيرة خضراء في شطها نامت صبايا النور لم تتقي

ياصورة ريفيـة لوّحت من قرية تركع في المشرق
ياموجة .. لله كم عمقهـا ما زال يشقى عندها زورقي
ياخطوة الكوخ مسقسقة بالفن.. بالاسرار .. بالرونق
شقراء .. ياشقراء ياحيرتي فيك وفي عالمـك المغلق
فلسفة الاعين .. كم أتعبت فكري وكم ضل بها منطقي
كم تظهر الانثى صدودا وفي أعماقها حر الهوى المحرق ..
نامي على صدري ولاتعبأي بعاطفي .. اشقر .. احمق..
نامي .. تحابينا كأسطورة او فكرة في العالم المطلق
نامي. طوينا العمر لم نعتنق يوماً ولا نمت على مرفقي
نامي فثغري الاحمر العصفري في ثغرك الناري لم يزلق
نامي فهذا الناهدُ المخملي لم يعصر العطر ولم يدلق
كأنما نهدُكِ ياحلوتي نافورة من ياسمين نقي
نامي فحتى الان لم يحتمل عقلي اللقا بعد الجفا المرهق
نامي لقد اتعبتني في الهوى ياليت اني فيك لم التقي ..

نزار قباني — دمشق

الزواج في الامثال اللبنانية

بقلم شفيق طاره

الزواج من اهم احداث الحياة وله في امثال اللبنانيين القديمة مكان مرموق . فاول ما يواجهك منه انه في انفسهم من التبعات الجسام والتكاليف الثقال ينم على ذلك قولهم (اسعى في جنازه ولا تسعى في زواجه) وقولهم للفتاه (لاتفرحي بطي جهازك يا ما بدك تجلى قدور) وفي زعمهم ان فرح العرس لا يدوم اذ يقولون (لوكان فرح العرس يدوم ما كانت القيامه بتقوم) وفي امثالهم شواهد على ان طالع الزوجة اما خير او شر فيقولون (ثلاثة كعبهم يا خير يا شر : الدار والمرا والفرس) ومن رأيهم ان الله تعالى يكتب نصيب الفتاة على الفتى منذ وجودهما على الارض فيقولون (كل شي، تسبيب الا الزيجة نصيب) وظاهر من هذا الكلام ان اللبنانيين قدريون كعامة الشرقيين فليس اكثر في امثالهم من التسليم للقدر . ومن امثالهم التي تنم على هذا المزاج قولهم (الف دعوة ما خزقت قميص والف زلغوطه ما زوجت عريس)

ثم انهم يرون المال عصب الزواج اذ بدونه لا يتم شي. وان تم فلا يسلم المتزوج من المتاعب يفصح عن هذا تمام الافصاح قولهم (رن الفلوس بتجيبك العروس) والفقر في عرفهم يكشف عورات المتزوجين وهو شاهد بارع من شواهد الطبيعة يقاربه في معدنه قول الانكليز (اذا نقر الفقر على الباب قفز الحب من النافذة) . وفي يقينهم ان الشاب الذي لا يمكنه دخله من القيام بنفقات الحياة الزوجية انما يجني على نفسه واولاده بزواجه ويعرض كرامته للامتهان . يؤيد ذلك قولهم (زوّج الفقيرة للفقير بيكثروا الشحادين) وقولهم (زواج شحادين ولاد عريانين) وقولهم (اللي بيتزوج بالدين بيجو ولاده بالفايظ) .

بيد انهم مع قدرهم متاعب الحياة الزوجية لم يفتهم الترغيب في الزواج والتشويق اليه اذ يقولون ما فحواه (لو كان الرجال فحمه وجوده بالبيت رحمه) و (المرا بلا رجال مثل قلعه بلا جبال) وهم يقرون بمزايا الزواج المبكر ومساوىء الزواج المتأخر وينشدون في الزواج النسل تخليداً للذكر اذ يقولون (زوّج ابنك وهو ولد بيجيك ولد) .

وقد اشتهر اللبنانيون بالسكن الى حياة الاسرة وحددوا حقوق الزوجين فقالوا (الرجال جنّا والمرا بنّا) و (المرا دولاب والرجال جلاب) و (ابو علي بزق وام علي بترق) . ويستحسنون من الازواج اولا : من ليس له ولد فيقولون محذرين الفتاة (ابرمي عكا وارواد ولا تأخذي رجال عنده ولاد) وذلك مما يخاف من بلوى المنازعة . وثانياً : من لا تقضي عليه مهامه المعاشية بالتغيب عن المنزل لئلا تفتقر المرأة الى من يهتم بامرها وقلما يرضي الفتاة من يعدها بالبقاء في مدينتها او بلدتها فيقولون (عمرك لا تأخذي مكاري ليلة عندك وعشرة بالبراري) . وثالثاً : الرجل العامل ويفضلونه على الغني الباهل من لا عمل له . ذلك لانه قادر ان ينفق على الاسرة ويكفل لها اسباب الحياة بعكس الامر مع من يعوله ابوه او تنفق عليه امه فيقولون (شب بالسوق ولا حلى بالصندوق) و (خذي الشغّال ولا تأخذي بيت المال)

ويلاحظ بصورة عامة في امثال اللبنانيين ميلاً عاماً الى وضع المولد الكريم في رأس صفات الزوجة الصالحة وما من ريب ان طيب الاصل ضمان لمحاسن الاخلاق وان الرجل كي يقر السعادة في بيته ينبغي ان ينشد ذات الشرف والنبل . يظهر ذلك في امثلة كثيرة منها (الاصل عون) ومنها (خد الاصيلي ولو على الحصيرة) ومنها (اسأل عن الاصول قبل الوصول) ومنها (دور الدورة ولو دارت خد الحرة ولو بارت) .

ومن ادابهم ان يتزوجوا الجميلة الفقيرة ويفضلونها على المثرية الدميمة وذلك خشية ان تصبح المرأة قيمة على الرجل وهذه اداب ترتكز على حفظ الكرامة واستقلال النفس فقالوا (خذوا فقرا والمغنى هو الله) و (يا ما خذ القرد على ماله المال بيروح ويبقى القرد على حاله).

ولم ينسوا تأثير الام في تربية الفتاة فقالوا (قبل ما تلم اسأل عن الام) . وربما زادنا علماً في تشبيه البنت بامها قولهم (طب الجرة على تمها بتطلع البنت لامها) وينفرون من المرأة الطائشة فيقولون (لا تأخذ النطناطه ولو كانت خياطه) .

واللبنانيون يؤثرون في الغالب الاهل والاقارب على زواج الاباعد والاجانب فيقولون (اللى بيتزوج من غير ملته يموت بعلة غير علته)

و (بنت بلادك بتحملك على الخير والشر) ويرمزون عن ذلك قائلين (زوان بلادك ولا قمح الصليبي) و (شبر من المسلة ولا ذراع من المرقوق) و (القريب ان علكها ما يبزقها) ويعنون بذلك انه اذا وقع الشقاق بينه وبين زوجته فلا يطلقها .

ثم ان امثال اللبنانيين حافلة بوصايا حسن المعاشرة واجتمع افضل ما قالوه حول هذا الغرض في قولهم للفتاة (زوجك على ما عودتيه وابنك على ما ربيتيه) ولا ينكر ان الاعتياد يوثق روابط الالفة والتفاهم ويوطد السعادة المنشودة في الحياة الزوجية فاشاروا الى ذلك بقولهم (اللي زوجها معها بتدير القمر باصبعها) . وفي رأيهم ان الزوجة تقتبس بالعشرة من زوجها كثيراً من الصفات والطباع وذلك ظاهر في قولهم (المرا من ضلع الرجال) ومما جاء في اساطيرهم ان الله جل ثناؤه لما شاء ان يخلق حواء لم يخترها من لسان آدم لئلا تصبح ثرثارة ولا من عينه لئلا تمي فضولية ولا من اذنه لئلا تنصت الى الشر ولا من رجله لئلا تكدح خارج البيت ولا من رأسه لئلا تعلو عليه وانما خلق الله حواء من وسط آدم رمزاً للمساواة . . .

ويرى اللبنانيون ان سيرة الزوج كثيراً ما تصبح قدوة للزوجة فيقولون (الفرس من الفارس) و (الفرس من خيالها والمرا من رجالها) وتقول المرأة الصالحة على مثال زوجها (صلحت لي ولبقت لك والدهر وفق بيننا) و (بدرين على فرد مخده) . ومن اجمل امثالهم في الامتثال ومطاوعة الرجل لزوجته قولهم (قالت له يا رجال بدي اتحنى . قال لها : انا بتمنى) . وفي امثال نصوص على مراعاة اداب السلوك في جهات الحياة العامة منها الا يدخل الزائر دار احد المتزوجين الا باذن من اهل الدار فيقولون (ان كنت من جهة المرا عدي بلا مشورة وان كنت من جهة الرجال ارجع لورا) وذلك عملاً بالآية الشريفة القائلة « يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فان لم تجدوا فيها احداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو ازكى لكم والله بما تعملون عليم » .

واهل لبنان يسبقون الشعوب الشرقية المجاورة التي تماثلهم في الدين والنظم بمقت تعدد الزوجات وينددون بسوء مغبته شاعرين بما في الضرار من ظلم للمرأة وجرح لعزتها واذاة لشعورها فيقولون في الحث على الاكتفاء بالواحدة (الضرة مرة) و (بيت التنتين خرب من سنتين وبيت الثلاثة للوراثة) ويردفون قائلين (بين حانا ومانا ضاعت لحانا) واصل المثل ان رجلاً بلغ الخمسين كان له زوجة ثانية . فالاولى واسمها حانا بلغت الاربعين والثانية اسمها مانا دون العشرين فكلما بات ليلة عند حانا تمدح له مزايا الشيخوخة وتنزع شعرات لحيته السوداء مدعية ان في الشعرات البيضاء جمال الكبر ومهابة الشيخوخة . واذا بات عند مانا تمدح له الشباب وتنزع شعرات لحيته البيضاء مدعية ان في الشعرات السوداء مظاهر الشباب والفتوة . ودام الحال على هذا المنوال مدة ظلت فيها اصابع الزوجتين تلعب في لحيـة الرجل نتفاً حتى وقف ذات يوم امام المرآة فاخذ ما تبقى من لحيته ثم رفعها وقال (بين حانا ومانا ضاعت لحانا) وذهب قوله مثلاً يضرب لمن وقع في بليتين .

وللبنانيين امثال في الزواج جرت على السنتهم مجرى الحكم الاجتماعية ومن ابرع امثالهم في ذلك (الداية السريعة والمرا المطيعة والدار الوسيعة زيادة في العمر) و (البنت اللي بيكتروا خطابها بتبور) و (يا ويل اللي ابنها زوجها) و (مرتك وابنك الصغير يحمنوك على كل شيء قدير) و (ثلاثة بدهم ثلاثة الدار الوسيعة تكون منيعه والمرا البديعه تكون مطيعه والفرس السريعه تكون خضوعه) و (اللي ربنا متمم لها سعادتها بيطلع زوجها بجنازتها) و (اذا ردت بسطك وانسك تذكر ايام عرسك) .

ومن امثالهم المنتقاة في الندم قولهم (تزوجنا لنستر رزق الله على العزوبية) وفي التحسر قول فتاة لم تتوفق في بيت زوجها (يا محلا نقل بيت ابي والنومه كلخ) وفي التأسف (حرام على الهاون الذهب بيطرق فيه مهباج حديد) وفي خيبة الامل (لا من بيت ابونا ولا من اللي تزوجونا) و (زوجت بنتي لارتاح من بلاها اجتني واربعة وراها) ومن نماذج السخرية المطمئنة في امثالهم قولهم (ما كفانا هم ابونا قام ابونا جاب ابوه وقال خذوا جدكم ربوه) وقولهم (زوجت بنتي لارتاح من همها اجت وجابت ابن عمها) وقولهم (زيجي زوجتك لكن حظ منين بدي جيلك) وقولهم لمن ذل بعد عز (بعد ما كان زوجها صار يطبل بعرسها) ولمن يتغاضى عن سلوك زوجته (بيقول لمرتو شو جبتي ما بيقول لها وين كنتي) وتقول المرأة لمن لا يستطيع ان يعولها (لو بدي آكل من كيسي ما عملتك عريسي) وللرجل المتقلب (بيروح مع ام العريس وبيجي مع ام العروس) .

ومن كلامهم في الطلاق والهجر (اللي ما بيقدر علبقره وعليقها بجيد عن طريقها) ويقولون عن المتغطرس المتكبر (صار لجحا مرا وصار يحلف بالطلاق) ويذمون زوجة السوء قائلين (اول سنة عروس وثاني سنة جاسوس وثالث سنة حية بسبع روس) وفي الحيرة (حامض حلو طبخت لك وجوا وبرا فرشت لك اما الميزان ما كان على البال) واصلها ان رجلًا في اخلاقه شراسه كان يخلق اسباب الخصام ليطرد امرأته الى بيت اهلها فسألها يوماً : ما طبخت ؟ فقالت : بذنجان . فقال : يا لعينة الا تعرفين اني احب البندوره ويوماً سألهـا : اين فرشت . قالت : في الاوضه . فقال : الا ترين الدنيا حر والسطح في الصيف افضل . فحارت الزوجة بامرها من اطوار الرجل الغريبة . ولما كان اليوم الاخر فرشت على السطح واقبل كعادته وعاين الاشياء فلم يجد ما يؤاخذها عليه فاستلقى الى جنبها على البساط وجعل يدير عينيه في النجوم الساطعة ثم قال لها : اتشاهدين النجوم السبعة تلك ؟ ان هذه النجوم اسمها في علم الفلك (بنات نعش) . ثم صمت لحظة ، وناداهـا قائلًا : الا ترين النجوم الستة هناك ؟ فهذه اسمها في علم الفلك (الدب الاكبر) . واخيراً قال لها : الا ترين النجمتين فوق رأسي فهـاتان هما (الميزان) قال الراوي : وما كاد ينتهي الى قوله الميزان حتى قال لها باعلى صوته : هل في الدنيا احد يعمل عملك؟ قالت : ماذاعملت؟ قال : فرشت تحت الميزان حتى تسقط (العيارات) على رأسي واموت . ثم وثب عليها واشبعها لكما فلم تر معه حيلة الى ان هربت وانشأت تقول : (حامض حلو طبخت لك وجوا وبرا فرشت لك اما الميزان ما كان على البال) .

ويستعرض المتأمل في امثال اللبنانيين كثيراً من عادات القوم واحوال المجتمع فاذا قرأت قولهم (مثـل العراسة بيروحوا على درب وبيرجعوا على درب) علمت ان في موكب الزفاف لا يرجع المشيعون ادراجهم من الطريق الذي ذهبوا به تشاؤماً لاعتقـادهم ان العروس تعود الى اهلها غير موفقة ومن قولهم (من يوم جلوكي هيك لقوكي) تلحظ ان جلاء العروس تزينها ليلة العرس ليظهر جمالها للعريس ومنها الجلويات وهي الاغاني التي تنشد لها في تلك الليلة ومن قولهم (كمل القط جهازه ما بقي غير الشمعدان) تعرف ان الجهاز هي الثيـاب التي تحضرها العروس الى بيت العريس ومن قولهم (العروس في مجلاها ما بتعرف مين يتولاها) تفهم ان من قـديم عاداتهم خطف العروس اذا كانت من طبقة لا ترضي طبقتهم ان تصاهرها . ولهم اخبار من اختيار الفتى الفتاة بمحض ارادتهما لا يتحملها مقال في مجلة وكلها مليئـة بالمفاجئات الطريفة ومن ذلك اشتق قولهم (عروس بالاكايل ما بتعرف لمين بتميل) و (وطار طيرك واخذه غيرك) و(واحد خطب والثاني تزوج) و (واحد نتفو والثاني اكلو) و (واحد طبخ ما داقو والثاني كبر مشتاقو) واذا قرأت قولهم (اللي ما بـدو يعطي بنته بيغلي نقودها) ادركت ان النقد هو المهر وقولهم (شيح وقبر مرتو وتنيح) يوضح ان لمربي دود القز موسما يدعون فيه اصحابهم وجيرانهم الى غداء مري. ويجمعون بعده الشرانق عن الشيح وهي الاغصان التي يحوك دود القز عليها الفيالج . وقولهم (لاتمدح العروس الا امها والماشطة) يظهر ان الماشطة هي التي تجهز العروس ليلة العرس وقولهم (كل عرس وله قرص) يعرب انهم يفرقون اقراص الحلوى على جماعة المهنئين في حفلات الزفاف وقولهم (ليلة عرسك عيرني قرسك وليلة زفك عيرني دفك) ينبي. انهم ينقلون العروس في بعض القرى الى بيت العريس على الدابة ويزفون العريس بنقر الدفوف . قولهم (ببكي وبروح) يبين ان من عادة الفتيات ان يبكين ليلة العرس . ومن حكايات العوام في هذا الصدد ان احداهن طفقت تجهش بالبكاء لما قرب مجيء عريسها فقال لها ابوها : يا ابنتي ان كان فراقنـا يعز عليك اتركي العريس وابقي عندنا . فقالت له : ببكي وبروح ... وذهب قولها مثلًا ويضرب لمن يضمر غير ما يظهر . وكذلك قولهم (على الحطب كبيرة وعلى الزيجة صغيرة) يؤيد عادة ما زالت شائعة بين الاسر التي على النمط القديم وهي ان لا تزوج بناتها الا ابتداء بالكبـيرة ثم الاصغر فالاصغر ومما يحكى ان فتاة قد رفض اهلها ان يزوجوها قبل اختها الكبيرة مدعين انها حديثة السن ولما ذهب الخطاب جاءت الصغيرة تسأل عما حصل فجزرتها امها وامرتها بنقل الحطب الى مكان بعيد فهزت الفتاة رأسها وقالت (على الحطب كبيرة وعلى الزيجـه صغيرة) وذهب قولها مثلًا ويضرب في الاعتذار السخيف .

هذا جل امثال اللبنانيين القديمة الشائعة في الزواج وهي كما ترى تعرب اعراباصادقاً عن شعور اللبنانيين وتصف احوال المجتمع اللبناني وصفاً يمتاز بصدقه وبساطته وتستهوي النفوس نظراً لما فيها من حقيقة الواقع وكم في الواقع من روعة لا يأتي بمثلها الخيال .

شفيق طباره

لماذا نعيش ؟

لماذا نعيش ؟ ولماذا نموت ؟ لماذا نأتي الى الحياة من العدم ثم نعود الى العدم ؟ هـذه الفترة القصيرة كوميض برق بين ظلمتين أبديتين ؟ نعيش برهة ... فيطوينا الاجل عاجلاً او آجلاً ونمضي سراعاً او ببطء ، الى حيث لا ندري . أين كنا ؟ ولماذا جئنا ؟ واين نعود ؟ ولماذا نعود ؟ .

هذه المبهمات المحيرات وكثير امثالها راودت العقول البشرية كبيرها وصغيرها وخالجت نفوس بني الانسان عظيمها وحقيرها منذ ان فكر الانسان في الحياة حتى فارق الحياة ومنذ ان فكر في الموت حتى جاءه الموت . لقد اجاب فريق من هؤلاء المتحيرين بكلمتين بسيطتين : « لا ادري ! » واكتفى . اما الفريق الاخر فقد قال : لقد جئنـا صدفة ونعود عن طريق الصدفة . أفليس المرض الذي يأتيك عارضاً يصادفك في طريق الحياة فيختطفك ويسلمك الى ايدي الفناء ؟ ثم أليست مفاجئات هذه الحياة واقدارها كلها جاءت اعتباطا وعن طريق مصادفات عجيبة ، فنحن اذن ابناء الصدفة ومخاليق الاقدار ومهما قيل عن مجيئنا من عالم اخر على ظهر نيزك او نجم سماوي سقط على الارض فان ذلك لم يكن الا تصادفاً عجيباً اخر .

وعند ما يسألون ما غاية الحياة ، يجيبون ان لا غاية لهـا ولو بلغت الانسانية في مرحلتها النهائية اسمى الاطوار ولو عمر الانسان في نتيجة التطور والرقي بفضل العلم والعقل الف عام او يزيد فان نتيجته المحتومة الفناء ! . هكذا يقولون ! ولكن قولهم لا يتعدى ان يكون صورة المتشائمين ووحي اولئك الذين يلبسون منظاراً اسود كلما سئلوا عن الحياة واغراضها ومراميها . اذا كان الامر على العكس من ذلك فلماذا اذن نعيش ؟ نعيش لاننا ظاهرة طبيعية لا بد لها من ان تتجلى على مسرح الكون . نعيش لاننا نعيش !!.

عجبا ... وهل تسأل الموجة لماذا تعلو وتهبط والبرق لماذا يلمع والريح لماذا تعصف والنيران لماذا تضطرم ، لكي يسأل الانسان لماذا يعيش ؟ نحن جميعاً ظواهر طبيعية تدب على هـذه الارض ، تضحك وتبكي ، تحب وتكره، تريد وتنفر ، تتراقص وتضطرب ثم تهمد وتختفي وتزول . وكذلك تفعل النيران ... فهي تبدأ صغيرة ضئيلة ثم تتسع وتنمو فتأكل ما حواليها ثم تعلو في الاجواء مضطربة متراقصة مزهوة مأخوذة بحرارتهـا زهو الشاب بحرارة الشباب وتعرض جمالها المضيء الدافيء للعالم وللكون برهة كما تفعل الشابة الجميلة في عنفوان العشرين او قبل ذلك او بعده بقليل ثم تتضاءل كما بدأت وتنطفيء ، وتزول تاركة لهذا العالم ان يتخيلها في اوج عزها وينتشي بصورتها المضيئة الفاتنة . وكذلك هو الانسان : جنين ، فصبي ، ففتى ، فشاب ثم كهل فشيخ ... حتى يطويه القبر ويواريه الرمس فيعود اثراً بعد عين . هذا امتد به الاجل ولم يختطفه القدر قبل ذلك بقليل او كثير . والان ، لنسأل انفسنا : افي هذا غرابة ؟ اذا كان ، ففي شعلة النار غرابة توازيها ... والا فكلاهما ظاهرة طبيعية سواء بسواء . انها لنتيجة محزنة حقاً ، حتى ولو تخيلنا الحياة ظاهرة طبيعية لها بداية ولها منتهى . ولكن هذا الحزن يتلاشى ويضمحل عند ما نترك تفكيرنا الفردي في الحياة ونشعر باننا جزء من ظاهرة طبيعية أعم واعظم ... لها ماض ... ولها حاضر ... ولها استقبال ، تشعر شعوراً واحداً كانها جسم عظيم واحد ! والحق ان الانسانية هي كذلك ! والا ما الذي يدفعنا الى ان ندرس التاريخ وننبش القبور ونبحث بين الاطلال والخرائب ؟ أليس في هذا نحاول ان نربط ماضي الانسانية بحاضرها ونجعل للغابر من عهودها مكاناً في ذهننا ؟ ؟ ... ثم ما الطموح وما الخيال الذي ينظر بعيداً الى المستقبل ؟ أليس وسيلة اخرى تربط مستقبل الانسانية بحاضرها وماضيها ، أوهو ايصال عالم الاجنة بعالم الاحياء وعالم الموتى واعتبار كل هاتيك العوالم اجزاء الكل ، تام كامل ، لم يزل بدءاً من ان يظهر على هيئـة افراد يموت بعضه ليبقى بعضه ويمتزج بعضه مع بعض لينتج فرداً جديداً آخر يحمل شعلة الحياة المقدسة ويسير بها دائماً الى الامام بقوى متجددة وجسم طري غض لم تثقل كاهله اعباء السنون ولا تمتد اليه ايدي الوهن والضعف حتى اذا ما احس ببداية همود وبادرة اضمحلال وضع الشعلة المقدسة في هيكل آخر لتضيء بنور جديد اشد تألقاً ولمعاناً وخطفاً للابصار وهكذا الى ما لا نهاية ... فالحيـاة خالدة ما خلد الكون وما خلدت الطبيعة ومظاهرها . واما — نحن — فلسنا ضرباً من عبث ولا نوعاً من وهم ولا ضحكة الهية ولا مهزلة مقدسة ولسنا نولد دون غاية ونموت الى غير بعث ، فتكرر الحياة وتجددها هو البعث لاولئك الذين لا يؤمنون بمعاد الانسان وبعثه ، وكفانا غاية وقصداً باننا أقباس من نار الحياة الخالدة .

صفاء خلوصي — بغداد

الى اخي ...

★

على هضبة جميلة ينتهي اليها منحدر احدى « التومتين » فوق وادي « كفرحونا » الظليل ينتصب دير « المزيرعة » بين الجنائن الخضر مصيفاً طيب الهواء ، عذب الماء ، قرير الصفاء ... زارني فيه اخي وهو اعزب ثم انقضى عامان فاذا هو في « صور » يبسم لي « فوزي » بكره . وتتأخر عليه رسائلي فيتهمني بالفتور فكان الجواب :

لا تلمني على تمادي الفتور   انا في نشوة الفتى المحبور
عزلتي جنة النعيم وبعض ال   لهو يغري فكن عليه عذيري
ملعب النور غرفتي والنسيم ال   عذب والحلم والخيال النضير
وروءى الليل ضاحكات من الز   هر الى روح عابد مستنير
والاريج الندي يعبق من تفا   ح لبنان مستطاب المرور
اقلاه موجة من عبير ال   قدس خفت الى عند البكور

*

لو تراني ، وكل شيء حوالي   كساه النهار لون السرور ،
تحت جبار سنديان عي ،   مله الدهر بعد كر العصور ،
صامد فوق ربوة غاص فيها   شبه ركن من جذعه المستدير ،
نشبت في جلامد الصخر منه   كالمراسي مفتلات الجذور ،
فهو يستقبل الرياح مريداً   مستخفاً بعزمها المغرور ،
لو تراني ، وظله الدافق الرحـ   ـب فراشي عند اشتداد الهجير
اعرض الذكريات يخطرن في بهـ   ـجة طفل مداعب مستثير
بعثتهن نفحة من شطوط ال   بحر سكرى الحنين ريا العبير
فرجعت العامين اذ يحتوينا   طنف الدير ، غب هجر مرير ،
في صفاء الليل العميق ، وانس ال   قمر الغض ، وابتسام الثغور ،
وانسياب الماء النمير من « الفـ   ـوار » في الوادي مستلذ الخرير
كم ضحكنا واصغت الليلة القمـ   ـراء للحلو من حديث سميري
للنكات البريئة اللفظ فيها   لذة « اقرأيا صاح بين السطور »
لغوالي الازجال من شعرك الطيـ   ـب دلت على مليح الشعور ،
لغناء « الحاكي » الطروب ينادي الا نـ   ـس والقلب خفقة من حبور ،
لنقيق الضفادع البله يوحي   جلسات الصباء عند الغدير !
وأوينا الى السرير فذقنا   راحة النوم في اعالي الطور
حيث لا يرتقي السهاد ولا يبـ   ـلغ هم و ينتفي حر « صور »
ماتململت في الكرى او تململـ   ـت كلانا غريق بحر قرير
ولقد جانت الظهيرة لم ينـ   ـهض نووم الضحى جناب الامير !..

*

وبدت مني التفاتة سهو   محفل ، بين موحشات الصخور
فتنيت ، والغروب مديد الظـ   ـل في الوادي المطمئن الوقور
ورؤوس الجبال وردية اللو   ن وقطن الغيوم وهج السعير
وكان العبير من شجر التفـ   ـاح قبل الدجى صلاة بخور !
فطويت العامين بالذكريات الـ   ـبيض ابغي لقاء « فوزي » الصغير
لم يكن حين جئتني غير حلم   البسته الامال حلية نور ،
وهو اليوم ما تقر به العيـ   ـن وسلوى الفوءاد نجوى الضمير
ينثر البسمة الهنيئة عفو ال   خاطر الغر في كراه الوثير
ويناغي الاملاك ، في هدأة الوحـ   ـي ، مناغاة واله مسحور ،
فيسري الهموم عنك وينسي   الام لوعات سهدها المبرور !

*

لو تراني ، وقد رجعت الهوينا   بلحاظ المحير المخمور ،
اوغل الخطو بين خضر الدوالي   مثقلات بحملهن النضير ،
واسيغ « الكبوش » بردها الغـ   ـي ، حساناً ، بحمرة البرفير
يشفق الطرف عند هصر الند   ي البض منها على الدم المهدور ،
وأروم التفاح في غصنه المعجب اشهى من « الافندي الصوري »
فابيح العينين طلعة سحر ،   وابيح البنان لمس الحرير ،
وابيح الاسنان رخصاً لذيذ النهـ   ـش والانف طيبات العطور
ما تعجبت كيف اسلو ولا كيـ   ـف جفا القلب صنعة التحبير
وعذرت الفتور مني على ان   جنى العمر بعض هذا الفتور!

غ . فرحات

في اعمـــاق الصدور

بقلم الياس ابو شبكة

●

عندما اعلنت هذه الحرب تجنّد لها جميع ادباء فرنسا من بول فاليري الى دوهاميل الى جيد الى موروى الى رومان رولان، وأفرغوا ما في كنانتهم من السخط على ذلك الرجل الذي بقي يساير جشعه واطماعه الى ان اوقع الواقعة الكبرى التي تعصف اليوم بالملايين من خلائف الله . وفي ذلك الحين أجمع اولئك الادباء على التنبؤ للطاغية بالمصير الاليم الذي يسلك اليه اليوم ادمى سبيل عرفه فاتح في التاريخ . وفي طليعة اولئك الادباء الشاعر بول فاليري ، فقد أذاع من محطة الراديو على العالم خطاباً لا نشك في انـه أبلغ رد على التأنيب الذي وجهته جريدة « الاب دوشيسن » السرية التي توالي الصدور في فرنسا ، الى خلفاء كورنيل وراسين وموليـير وهوغو ولامرتين وفينيي وبيغي وفورنيه ، الى حفظة التراث الفكري في فرنسا ، الى ادباء هذا الزمن ، الى فاليري وجيد ودوهاميـل وجيرودو وغيرهم . قال فاليري : « يقتضي لفرنسا ولقضيتها ، وهي قضية كل امرىء جدير باسم انسان ، ان يعرف العالم الظروف والاحوال التي جعلت هذه الحرب ممكنة ثم محتومة . وهذه الظروف والاحوال تلخص ببضع كلمات وهي ان الحرب نشبت بين بلدان حرة وبلد لا يعرف الحرية . وما هو البلد الحر ؟ هو البلد الذي يتم فيه التبادل في الخدم والواجبات بين الدولة والافراد . فالدولة في البلد الحر هي منظمة ضرورية يجب عليها في كل حين ان تبرر ضرورة وجودها والا تطلب من كل فرد من المواطنين الا ما يتطلبه خير المجموع . وكثيراً ما سخر بعض من هذه البلدان التي تتوازن فيها الحريات العامة مع سلطات الدولة ، واغلظوا القول فيها الى اقصى حد . ولكن اي ضرر يمكن عزوه الى حرياتنا والافراط فيها يتلاشى على اضواء الانفجار الحالي . فهذه الشعلة اللاهبة تنير بشكل فاجع هذه الحقيقة الواضحـة وهي ان البلد الحر هو البلد الذي يستحيل فيه على رجل فرد ان يتصرف بمقدرات الحرب او السلم ، وهو البلد الذي لا يقبل فيه اي امرىء ان يتوقف السلم او الحرب على مزاج رجل واحد او على اعصابه او على امر يكون قد حلم به . تصوروا هذا : من جهة رجـل هو ما هو ويساوي ما يساوي ، ومن جهة اخرى شعب بكامله منوط مصيره باية اشارة يبديها هذا الرجل . فهذا الرجل لا يحتاج الى اكـثر من ان يضغط على زر او ان يدير لولباً ليضرم النار في اوربا ويهوي على ملايين من الخلق بجميـع ألوان الآلام والمصائب . اما نحن جماعة الفرنسيين والانكليز فاننا نحارب ما يضاد العقل والصواب ، اذ لا يمكننا ان نتصور شعباً هو من ارقى الشعوب ثقافة وتفكيراً يخضع لسيطرة فرد منعزل متوحش ويتبعه كالدابة الذلول الى ما يتجاوز حدود الرشاد . بيد ان هذا الشعب موجود ، ووجوده دليل على ان ما يحمـل بلداً حراً على الوقوف في وجه بلد لا يعرف الحرية هو اختلاف في الطباع والسجايا اكثر منه في الانظمة السياسية . ولا بد لنـا من الاعتراف باننا لا نفهم شيئاً عن الالمان . فأي شعب غريب هو هذا الشعب الذي انتج اعمالا عالمية عجيبة ويستسلم لمن يضطهد الروح والفكر ؟

« ولكن كيف استطاع هذا المضطهد للروح والفكر ان يفرض سلطانه المتجاوز حد الافراط على امة بهذا المقدار من الثقافة ؟ فهو لم يكن قادراً على ان ينتزع منها حق التصرف بمصيرها ما لم يستعبد فيها الافكار او يذلها . واذا بالادب والفلسفة والمعتقدات والفنـون تستحيل في المانيا لا اعلم الى اية حال من البؤس والاضطراب ، وارغمت الكنائس والجامعات والمنبر وسائر الاصوات على الصمت كيـلا يسمع الا صوت واحد ، صوت اجش عنيف يدوي في جميـع اوربا قاذفاً التهديد والوعيد والاوامر والمسبات . وهذا الصوت كان يستهدف امراً منكراً : بث الذعر في بعض القلوب او استهواء بعض الافئدة او انماء العجرفة والاثرة والجشع المادي في الامة الى اقصى حد ممكن .

« ولما انتصر هذا المقامر على جميع خصومه في الداخل — على اليهود والكاثوليك والبروتستانت ورجال الادب والفلسفة والعلم والفن وعلى رؤساء اركان الحرب انفسهم — أجل ، لما انتصر هذا المقامر على جميع هذه العناصر راح يجرب حظه في الخارج فأغار على البلدان الصغيرة القائمة على حدوده وابتلعها على اهون سبيل . وكأن هـذا الفوز السريع الذي لم يكلفه شيئاً والذي ينطبق على ما تكهن به في كتابه

أسكره بخمرة الغرور فراح يضارب بما كانت عليه البلدان الحرة من التحزب والمسالمة . وسرعان ما تجرد من مظاهر الولاء فأنكر امضاءه ومزق عهوده وامتلكته شهوة الفتح من قمة رأسه الى باطن قدميه . وهكذا كشرت الحرب عن انيابها ، وهذه الحرب لا تشبه أية مما سبقها ، فهي حرب العقل على الجنون ، حرب احترام العهود على احتقارهــا ، حرب الحرية الفكرية على الضغط الفكري . ولكن هذه الحرب لا تضمر أي حقد لتلك الكتل الالمانية الوادعة المطواعة التي لا تهتدي في نفسها الى أية قوة تقاوم بها ذلك الجنون الذي يسوقها الى الدمار والموت » . بهذا خاطب بول فاليري العالم عند نشوب هذه الحرب ، وبمثل هذا خاطبه جميع زملائه من حملة مشاعل الفكر في فرنسا . ولا يفيد قول جريدة « الاب دوشيسن » لهؤلاء الادباء : « لماذا لا تتكلمون ؟ ألعدو منصرف الى تجويع الفرنسيين واذلالهم وأنتم منصرفون الى اكمال القاموس » أن أدباء فرنسا حالوا عن عهدهم بعد الانكسار واعتنقوا مبادىء المسيطر وصاروا من أشياع التعاون معه . واذا لم ترتفع أصواتهم كما ارتفع صوت هريو أخيراً فسيكون لهذه الاصوات عاجلاً أو آجلاً دوي الديونة في مسامع الاجيال . ولا يسعني في معرض الحديث عن فاليري الا أن أرجع بالذاكرة الى مئة سنة خلت ، لاثبت ان المانيا الشــاعرة الحساسة ، المانية الفن والادب ، المانية غوتي وشيلر وهوفمان وبيتهوفن لم تنتظر عهد هتلر لتستحيل الى امة مستعبدة في روحها وتفكيرها . فمنذ مئة سنة نضبت العبقرية الالمانية في الشعر والفلسفة وحلت روح العجرفة والغرور محل الشعر والموهبة والابتكار . منذ مئة سنة توارى وجه المانيا الجميل ، ذلك الوجه الذي أحبه فيمن أحبه أدباء فرنسا في العهد الرومنطيقي وأسرفوا في حبهم اياه اسرافاً مضى بهم الى العشق والهيــام ، حتى اذا نسمت شهوة الفتح والعداء من الادب الالماني أبى الفرنسيون أن يصدقوا أن موطن الاحلام والخيال ، موطن الشعر والايمان والحب يتحول الى كهف مخيف لاصلال الغزو والجشع والشهوات .

في شهر كانون الثاني من العام ١٨٤٣ ، أي منذ مئة سنة بالضبط ، عقد الفيلسوف الفرنسي ادكار كينه في « مجلة العالمين » مقالا نبه فيه الفرنسيين الى ان المانيا التي يحبونها قد انهارت وقامت على انقاضها المانيا اخرى لا تمت اليها بنسب ولا بقربى . وكرر الفيلسوف تحذيره مرات في الصحف وعلى المنابر . ولكن الفرنسيين ، الشعراء والنقاد والكتاب ، ابوا الا التشبث في خيالهم الجميل ، فجواذب غوتي وشيلر وهوفمان وبيتهوفن كانت قوية في نفوسهم . ولما رأى لامرتين السليم الطوية ان يرد على قصيدة الشاعر الالمـاني بيكر بقصيدة « مرسلياز السلام » زاد ضلال اخوانه فابوا ان يروا في [illegible] ادكار كينه وسواه من الفـلاسفة المستنيرين المتيقظين . في ابان ازمة الشرق اذ كانت وزارة الرئيس تيير تفكر في ان ترد باعلان الحرب على الانذار الذي وجهته انكلترا وروسيا وبروسيا والنمسا الى محمد علي ، باشا مصر وحليف فرنسا ، ارسل الشاعر الالماني نيقولا بيكر قصيدة حماسية حربية يتحدى فيها فرنسا تحدياً منكراً . ولم يكتف الشاعر الالماني بنظمه هذه القصيدة بل بلغت به الوقاحة الى حد انه بعث بها الى الشاعر لامرتين . ولكن لامرتين السليم الطوية ابى الا ان يجيبه بقصيدة مستوحاة من المبادىء الانسانية النبيلة قائلاً ان على الشعوب ان تتحد بدل ان يمزق بعضها بعضاً وان تعمل معاً على ما فيه خير المجتمع الانساني ورقيه . ذلك ان لامرتين كان كبول فاليري مشبع الروح بالعبقرية الالمـانية الجميلة ، بعبقرية غوتي وشيلر وهوفمان وبيتهوفن . ولكن قصيدة لامرتين على جمالها البالغ لم تكن تلائم الظروف والاحوال ، فالتحدي الالماني كان يتطلب تحديـاً مثله . واذا بالفرد دموسه يكتب ابياته المشهورة ويرسلها ابلغ رد على رعونة الشاعر الالماني :

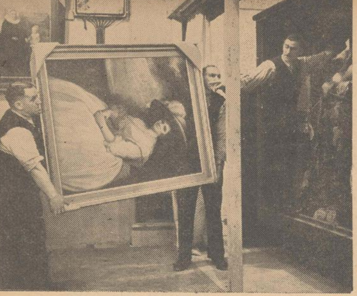
Nous l'avons eu, votre Rhin allemand ;
Ila tenu dans notre verre.
Un couplet qu'on s'en va chantant
Efface-t-il la trace altière
Du pied de nos chevaux marqué dans votre sang ?

Nous l'avons eu votre Rhin allemand ;
Son sein porte une plaie ouverte,
Du jour où Condé triomphant
A déchiré sa robe verte. -
Où le père a passé passera bien l'enfant.

« لقد وطئناه ، رينكم الالماني ، وسكبناه في قدحنا . وهل تمحو انشودة تغنى هنا وهناك آثاراً جبارة طبعتها اقدام جيادنا في دمكم ؟

« لقد وطئناه ، رينكم الالماني . فصدره يحمل جرحاً فاغراً منذ اليوم الذي مزق فيه كونده الظافر رداءه الازرق . وحيثما مر الاب سيمر الابن » . ونحن اليوم على اكبر من اليقين اننا اذا تسللنا الى اعماق الادباء الفرنسيين نقرأ فيها ابياتاً باسلة من هذا النسيج .

الياس ابو شبكة



« صورة سيدة » وهي من افخر آثار المصور الشهير « رومني » ستنقل الى مصنع التصوير الاصلاحي في صندوق خاص مختوم . ولا بد لهذه الكنوز الفنية من طقس متساوٍ يناسبها وقت النقل . لذلك ستستخدم قواطر محكمة الغطاء يكون الطقس في داخلها قد عدل بحسب الاقتضاء . وهي تنقل طبعاً في انفاق تحت الارض

كنوز بريطانيا المخبوءة

●

اذا مررت اليوم على كاتدرائيات انكلترا ومتاحفها ومعارض الصور فيها رأيت كثيراً من الاماكن الفارغة خالية من الرسوم الثمينة وبدائع الفن التي كانت تزينها . هذه الكنوز المعدودة من جواهر العصور عندما هددتها غارات الالمان الجوية بالتلف انزلت من اماكنها الرفيعة واودعت في غرف معدة لها تحت الارض في سفوح بعض الجبال الانكليزية حيث تكون امينة من اذى النازي ولولا هذا الاسراع الى نقلها لما بقيت سليمة حتى الان .

وكانت التدابير لمثل هذا النقل قد رسمت من قبل الحرب . ولم تشمل الخطط التأمينية كنوز الفن وحدها بل بعض اعلام الفن المشتغلين في شؤونها فنقلوا معها الى حيث يتابعون بامان اعمالهم المتعلقة بها وبالمحافظة عليها .

لقد حفر الانكليز نفقاً طويلاً في جبل عظيم يصل بهم الى قلبه . وهناك وسعوا الحفر واوجدوا كهوفاً كبيرة عالية السقوف . وفي جدرانها الحصينة البعيدة عن كل اذى علقوا نفائس الرسوم وبدائع الفنون . ثم اناروا كل ذلك بالكهرباء وجاؤوا باجهزة تعديل الهواء ليوجدوا في هذه الكهوف الطقس الضروري لسلامة الصور والوانها وعينوا لها حراساً مسلحين ليل نهار .

قليل من الناس في انكلترا نفسها يعرفون اين توجد هذه المستودعات . حتى اهالي القرى في المنطقة المحيطة بالجبل المحفور لا يدرون عن محتوياته شيئاً .

والصور التي ننشرها مع هذا المقال توضح الاعمال الجارية للمحافظة على سلامة تلك الكنوز الفنية كي تكون مستعدة للتحلي بزينتها والسفور بعد الحرب .

امين الغريب



●

احد المهندسين يملأ بالماء المقطر حوض الهيجرومتر الذي يقرر مقدار الرطوبة الكائنة في جو المكان الذي تحفظ فيه الرسوم المنقولة من المتحف الاهلي



جنازة قلب

بقلم : محمد حاج حسين
ليسانسيه في الاداب من جامعة فؤاد الاول واستاذ الادب العربي بتجهيز اللاذقية

حتى في قريتي هاجمني طيفها يتهمني ، ويبلبل احساسي : لقد نضب الدمع من عيوني المسهدة ، وجفت مآقي ، وادنفني الاسى ، واضواني وخز الضمير ، يصرخ بي قاسياً ، يعلن جرمي ، ويفصح عن خطيئتي ، بخطوط حمراء ، ونقط مدلهمة .

وتكلحت المصائب تتآكلني ، فأصبحت لقس النفس ، اثور لكل شيء .. ومن غضون هذه الكرب ، لاحت قريتي الوديعة كبرقة خاطفة ، فهرعت اليها ، علني اتلمس بعض العزاء . ولما جلست مع الفلاحين ، حول الموقدة والجمر يتسعر بشعله الشابة ، وتسلسلت الاحاديث الساذجة وتشابكت القصص الشيقة ، اندمجت فيها ، ولذت لي كثيراً ، على نغم المطر المتساقط ، وعزيف الرياح كعويل جن ..

وفجأة عراني ذهول شديد ، وتألق الماضي فاندفقت مني انة لاذعة ، تلتها صرخة فاتكة دار اثرها رأسي ، وانتصبت مشيراً بيدي الى زاوية في المكان ، مغمغماً بوجل .. انها هي عائدة .. وتلفت الجالسون ، يستطلعون خبري ، وقد دارت عيونهم في محاجرهم ، فألفوني بهيئة منكمشة وشعتها صفرة رهيبة .. ارامق زاوية استقرت بها عائدة بلباسها الابيض ، وعلى ثغرها المبسام تجول معان صريحة ، تنطق وتصيح : اين طفلتي ؟ لماذا قتلتها ؟

وهجرت القرية الوردية ، مهد الطفولة ومسرح الصبا ، لاعود الى هذه المدينة ، التي تضج بشكل غريبة .

لماذا شاءت الاقدار ان ادخل عند الظهيرة محلا كبيراً لاشتري حذاء ؟ واخذت البحث عن بغيتي ، اقلب الاحذية ، وتدخل امرأة على اثري تنطلق باحثة عن حذاء نسائي ، وانتقي حذائي واحاول الخروج ، واذا بالسماء المتلبدة بالغيوم تكفهر ، ويندفع الودق ، يقطع على المارة سبلهم ، فأجبرت على المكوث في المخزن الكبير ، واستدارت المرأة ، تخطر بجلبابها الذي اضفى على قامتها اللدنة فتوناً ، وشعرت ان هذا القوام الرائع ، والمشية الغنجة ، قريبة مني ، ويا لدهشتي حين دنت مني ، وقد رفعت المنديل الشفاف الذي يلثم وجهها الوضاء وتهتف : اسعد .

وتمازجني الحيرة والرهبة فيرعش جسدي ، واصرخ : عائدة . وتصافحنا بحرارة ، وجلسنا على مقعد واحد ، وقد حبسنا المطر المنهمر ، فينة .. تسبح في خلالها ، روحانا ، في عوالم لامتناهية من الذكريات .

وقالت عائدة بلهجة تتعثر بانفعال بدا على وجهها : كيف انت يا اسعد ؟ وشعرت ان سؤالها كان بارداً ، فأطرقت وقد اكمد لونها .. واجبت : اجتر حياتي يا عائدة ، واتحامل عليها ..

ولم تحر جواباً ..

وخالجني احساس غمض علي لاول وهلة ، واتضح بعد هنيهة ، كنت اتمنى ، لو لم ارها ، فمنظرها يثير ما غفا من آلامي التي برحتني ، ولا تزال جاثمة في اعماقي ، تهب كلما عنت في خاطري وشاءت الظروف ان تنتقل وظيفتي الى هذه المدينة التي تزوجت بها ، وتحاشيت رؤيتها او السعي اليها ، ولكن الصدف ، تأبى الا ان نتلاقى ، بعد غيبة ثلاث سنوات .. وتناهبتني الهواجس ، وتزاحمت علي الوساوس ، وهي جالسة برشاقة ، بطرقة صامتة ، حسيرة الطرف ، تتعمل بها افكار واهواء ..

يا الهي ما اتعسني في هذه اللحظة ، ان الفتاة التي سكبت على فؤادي قطرات الحب والرحمة ، تلاصقني .. عائدة ، التي اوقدت شعلة

الحب الاولى في نفسي ، وطفرت بي الى اجواء حية تتوقد بالنور وتشع بالحياة ، والتي بادلتني الحب العنيف العفيف ، حتى اصبحت الامـل الريان الذي اهفو اليه ، عائدة ، حقي السليب ، ومناي الذابلات ، عائدة التي تلهت بهواها ، عائدة تتزوج من غيري ، يستمتع ببهاء جمالها الخلوب ، ويستروح سحرها الغلاب ٠٠٠ ما اقسى الحياة ، وما اشد بطشها، عند ما تجلجل في غضبتها ، تسحق وتمحق ٠٠

ورن صوت عائدة في مسمعي كحنين الناي يقول : ألا تخرج يااسعد ؟٠

وتركت لنفسي تتموج في عالم وضيء من اللذائذ السامية ، متلذذة بصوتها الالهي ، كأنه وسوسة القبل ، تخفق على ثغرين عميدين ٠٠ هذا الصوت الفرد ، الذي طالما اشعلتني نبراته ، وزينت لي الرؤى باهرة ، منسجمة الوقع ، تياهة الاثر ٠٠

واخرجني من ذهولي الشرود ونغمة صوتها الملائكي يتردد في ارجاء نفسي : ألا تخرج يا اسعد ؟ ٠

وانتصبت واقفاً دون وعي : وأسبلت المنديل الحريري على وجهها الطافح بوهجة الحسن ، وخرجنا بتؤدة ، وكان المطر قد انقطع بعض الشيء ، واخذ الرذاذ يتساقط وديعاً رفيقاً ، ينعش النفس ، ورأيتها تشير الى عربة يقودها جوادان مطهمان ٠٠ وتشير الي بالصعود الى العربة ، فانصاع لها مسلوب الارادة ، معطل الشعور ٠

وتقول عائدة : أتدري الى اين نذهب ؟ الى سكنك نتجاذب الحديث ، اعطني عنوانك ٠٠

ونطقت باسم الشارع الذي اقطنه ، وانا حاضر كالغائب ، ويقظ كالنائم ، ولما وقفت العربة ، ترجلت عائدة ، وتبعتها بدوري ٠٠٠ وتغلغلنا بين البيوت المتراصة ، حتى دخلنا البيت الذي اسكنه ، وهو مؤلف من غرفتين وردهة واسعة ، جعلت غرفة للنوم ، وضعت فيها سريراً وخزانة للثياب ، ومرآة صغيرة ، ألصقت بالحائط ٠٠ والغرفة الثانية ، تنتثر في فوضى عجيبة ، فخزانـة الكتب ، مبعثرة ، وعلى المقاعد والمكتب ، تتناثر الكتب ، وتتيه في كل مكان : والاوراق تتطاير في كل جهة ٠٠

وجلست عائدة ، على مقعد في غرفة المكتبة ، وصعدت نظراتها تقلبها في انحاء الحجرة ، وانا صامت تنعقد بي لواعج شتى ، تنساق بي الذكريات في تلك الامسية الصائفة ، عندما التقينا لاول مرة ، فقد كانت تصطاف مع عائلتها في تلك القرية الشاهقة ، التي نزلتها لامكث بها اسبوعاً واضطرتني عائدة الى المكوث طيلة الصيف ، لا استطيع مغالبة الحب الذي نشب في فؤادي واحتل كياني : كانت في السادسة عشرة من عمرها ، تنهد بجمال فتان ، وعلى وجهها تتوهج طهارة القديسات ، وتسمو بها روح مائجة بافانين التأثير : انها خيالية ، بعيدة المدى في تصوراتها واحلامها ، تصبو للحب العذري الذي تتمثله في احلامها ٠٠ وكم كانت نضرة بهجة ، الاويقات السعيدة التي كنا نعمل على اختلاسها لنترامى في آفاق القرية بعيدين عن الناس نستمتع بهذا الحب الذي وطده الزمن ، ووثقته الالفة ، ووشجه امتزاج روحي عميم ٠

كان حبنا اطهر من ندى الغمام ، وأجمل من عبقـة الازهار ، ولكني كنت أتألم في اعماقي ، لعلمي ان الهوة التي تفصل بيننا بعيدة ، فهي من عائلة ارستوقراطية ، واتتها الثروة الضخمة ، ترتع في بحبوحتها ، وانا الفتى العادي ، الذي يحتـاج الى كد الذراع وعرق الجبين ، لعيش ، ولكنها كانت تبسم ، محاولة تبديد مخاوفي ، برغبتها في الزواج مني ، ومسايرة حياتي مهما كان ضربها ، وستقترن بي رغم العقبات التي تتواثب في طريق حبنا ٠

واخرجني صوتها العذب السري ، من التأملات التي غرقت فيها : اسعد لماذا لم تسمع كلمتي وتنفذها ؟ ؟ ٠

وحملقت فيها بدهشة ، لا اعلم ماذا تبغي بسؤالها ٠

واستطردت : يبدو عليك انك لم تستوعب كلامي !٠

واطرقت هنيهة ، تعبث بكتاب ، مقلبة صفحاته ، ثم قالت :

لماذا لم تخطبني من والدي ؟ ٠

وأحسست بألم هذه الصفعة ، فحدت لها، وعانقتني الذكرى المريضة ، التي غامت علي يوم كلمت والدها في هذا الامر ، واعتصمت بالسكوت ٠٠٠

وزفرت قائلة : ان سكوتك يقلقني ويحرك كوامن اشجاني ، تحدث ، وانقذني من بلابلي ٠

فتمتمت : ماذا تريدين ان اقول يا عائدة ٠

— ألم اقل لك ، اذهب الى والدي وكلمه في خطوبتي ٠٠ انتظرت كثيراً ليفاتحني في هذه المسألة ، حتى سألته اخيراً ، رغم حرجي ، فأجابني انك لم تحدثه ابداً ٠٠ :

واعتمدت رأسي بين يدي ، وعصرت جبهتي ، وسحابة من الهم دكناء قد قنعت وجهي .. واعتصمت بسكوتي .
ووثبت ، حتى هبت انفاسها الندية تلامسني ، وقالت ممتعضة : يبدو لي ان حبك كان كاذباً يهدف الى لهو .
فأجبت : يشهد الله ان عاطفتي نحوك نقية خالصة من كل شائبة . — ولم احجمت عن طلب يدي ؟
— أتريدين الحقيقة : ذهبت الى والدك متاكتئاً ، أقدم رجلا وأؤخر اخرى ، لعلمي بعنجهيته وارستوقراطيته ، ولما قابلته ، تحدثت بصراحة ، طالباً الاقتران بك ، فرأيت حواجبه ترتفع غيظاً ويسفعه حنق شديد ويقرضني بنظرة صارمة وهو يقول : ما ذا تطلب ؟ .
— الشرف ان اكون صهرك .» — وقلب شفتيه احتقاراً وصرخ : أتعرف ما ذا تقول ؟
— بكل وضوح . اني اهوى ابنتك عائدة ، واريدها حليلة لي لاسعدها .
وقذف فوه بالزبد وهو يدمدم : من انت وما هي الطبقة الاجتماعية التي نجمت منها؟ أتتطلع الى اولئك الذين يسمون فوقك بدرجات . انت الفقير الذي تعمل لتعيش تود الزواج من ربيبة القصور وبنت الجاه .. انت .. انت ..
وراح يرمي ازدراءه الخجل في وجهي ، وانا صابر مترِيث ، تتلاعب بي آلام عاصفة ، وأخيراً رأيته يتخذ مقعده ويشعل سيجارة يقبضها باناملهِ الراجفة ، وتجرأت ان اقول : الست يا سيدي شابا مثقفاً كريم الخصال أعمل بشرف واكسب حياتي بكدي .. فاذا تزوجت من ابنتك ستكون المعبودة التي اجثو في محرابها وسأندفع بكليتي لتوفير اللذائذ لها ، اليس هـذا باجمل من تزويجها برجل ثري قد سخرت جسده الرذائل يحتقرها ويعذبها ويمرمر حياتها ، الست تفتش عن راحتها يا سيدي ؟؟ .
وترتسم على فمه ابتسامة مغتصبة ، ويفتح درج المكتب يخرج منها قبضة من المال يعدها ويقلبها بنظراته الفاحصة ويقدمها لي قائلا : ايها السيد ، اني ادفع اليك عن طيبة خاطر هذا المال على شريطة ان يظل حديثك طي الكتمان .. انت تشوه سمعة ابنتي بمجرد تطلعك الى الزواج منها .. ونظرت اليه بعيون معذبة يلتمع فيها يأس كابح ، ولم اتحرك . ورقت لهجته واتخذت نبراته سمة الضراعة وهو يقول : ارجوك أتوسل اليك ان تقلع هذه الفكرة من رأسك .. انها تقص جناح ابنتي .. واجبته : عفوك ياسيدي لست هنا لارغمك على امر تكرهه ... احفظ نقودك .. وتأكد اني لن ازعجك بسماع هـذا الحديث ولن تراني بعدها ابداً .. وخرجت لا ألوي على شيء ، وقد ادلهمت الدنيا في ناظري .. ورأيت الرمس الذي حفر لي ، لاشيع به جنازة قلبي .
وكانت عائدة تصغي الي وملامحها تتغير حسب تيار الحديث الذي يجاذبها وتراخت في مقعدها وقد ندت الدموع من مقلتيها واستطاعت ان تقول : ان حظي التاعس لاحقني ووأد حياتي ، ومنع عني النور والحياة ، لقد صدق حدسك ، ارغمت على الزواج بابشع حالة ، واضحت حياتي كابية خامدة ، فوالدي وقد ابى الا زواجي من رجل ارستوقراطي على حد تعبيره الاهوج فعل هذه الزيجة التي جهمت حياتي بالوانها القاتمة ، خطبني زوجي فرفضته واعلنت التمرد وضربني والدي مراراً وفي كل مرة كنت ارفض بشدة واثور وزينت لي والدتي المجد الذي سيحف بي من زواجي فأصررت على رأيي ، وعبثاً كنت اتنسم خبرك فقد ابتلعتك الارض في جوفها ..
واخيراً بعد عنف وصيال ، سيقت النعجة البريئة الى مخدع زوجها في هذه المدينة .. وياهول ما رأيت ، فزوجي ، قد حطمته الرذائل وصرعته بنت الحان ، حتى اضحى وهو في الثلاثين ، كأنه شيخ مهدوم ، نهشته الامراض ، وانا الممرضة التي تتعهده لترقه العجز الناجع ، وكأن مخدع الزيجة مستشفى ، والزواج طريق الاعدام ، والمال الوافر الذي يملكه والضياع الجمة التي يقتنيها تراءت لي كحفرة تهيل ترابها علي .. ولم يمض شهر على زواجي المنكود ، رأيت في اثنائه ، الوان العذاب ، الذي اذبل نضارتي ، ومزق زهوتي ، حتى هوى زوجي طريح الفراش ، يهدده مرض قتال ، وظل في المستشفى ثلاثة اشهر ، تذوقت فيها اللوعة والحرقة والانين ، ولما شفي ورجع الى البيت ، كانت حياتنا في شقاء دائم ، فان اهتزازات عصبية ، دقت جسمي ، فاصبحت ضجرة ، اثور لاتفه حادث ، وكم كانت احاديثه تحزني وتدميني ، دائماً يتكلم بافاضته عن ثروته وامواله وذهبه ، فأصغي اليه شاردة الى احاديثك ، يا أسعد ، عن الروائع التي تهز المشاعر المشبعة بروح الخيال ، الملتهبة بالشعر والعاطفة .. ومسحت دمعة كبيرة ترقرقت على وجنتيها الصافيتين ، وقالت : هذه هي المأساة التي قادني اليها والدي ، مندفعاً بحبه للمال والجاه ..
ومرت فترة صمت وجيزة ، طافت بها في رأسي الموقر افكار كتمتها وقلت محاولا التسرية عنها : يجب ان تتحملي ياعائدة نصيبك في الحياة ، وصعقتني بنظرة مستطيلة وغمغمت : اهنأك على نظريتك الخرقاء .

– عائدة اظن ان الوقت ازف لتذهبي الى البيت ·

– لن ابرح من هنا ·· فشوقي لرؤيتك بالغ ، فكأني كنت اضرب في صحراء جديبة ، حتى اهتديت اخيراً الى واحة ظليلة ، ألا يحق لي الاستمتاع بمائها وبردها وظلالها ··

– ولكن زوجك سيقلق على غيبتك ··

– لا تخشى شيئاً ·· فهو بالقرية يحلب الفلاحين ، وينتزع لقمتهم ليضيفها الى ذهبه الكثير ·

وصبيحة اليوم التالى افقنا مذعورين فقد احتوانا ليل رهيب خفق باجنحته السدفاء علينا ، وتيقظت عواطفنا المكبوتة · ولما خرجت الى بيتها ، لعنت نفسي الف مرة فان جرمي كان بالغاً عميقاً ، وعولت على عدم ملاقاتها مرة اخرى ، وأخذ ضميري يوبخني بقسوة ، وشعرت بخوف وندامة ، ولكنها جاءت مرة اخرى واعقبتها مرات ، ومات ضميري ورأيت في اثمنا شيئاً عادياً ·· وكم كنا نتمنى لو نستطيع الخلاص من زوجها ، لنتزوج بشرف امام الناس ونصبح منسجمين في وحدة تامـة بعيدة عن كل ريبة ·· ووعدتني انها ستسعى جاهدة لتنفيذ هذه الاربة ·· مهما كلفها الامر ·· ولكنها لم تستطع مغالبة ارادة زوجها الذي يرى فيها متاعه الثمين وكنزه الغالي وشمسه اللألاءة ··

وقالت لي مرة : كم اتمنى يا اسعد ان اصبح اماً · احب ان ارى لي طفلاً الامسه واداعبه وادلله ···

وجاءتني ذات يوم ووجهها متهلل القسمات طـلق الاسارير ، وبادرتني فوراً : البشرى لك يا اسعد ، سأغدو اماً ، واحسست بلذة : سأكون أباً ·· ولكني لم البث طويلاً حتى ماجت ظلمة امامي :

ودخلت عائدة المستشفى لتضع ، وحبست انفاسي ، استرق الاخبار ؟ ؟ ورحت حائماً كاص حذر ، خشية ان يفتضح امره ·· وعلمت اخيراً انها وضعت انثى أطلقت عليها اسم منى ··

ويالشوقي القوي لرؤية منى ، التي حرمت رؤيتها · وسرت برأسي الدائخ خاطرة استنمت لها ، سأذهب الى المستشفى واراها رغم كل شيء · ولكن هذه الفكرة لم تعشعش في ذهني طويلاً خشيت مغبتها الشائنة ، وافتضاح امر عائدة التي ادفع حياتي فدية لها ، أألطخ سمعتها ؟ أأخدش كرامتها ، وهكذا تقاذفتني الاوهام في لجتها العاتية ، لا اعلم السبيل اللاحب الذي يهمد الفورة المزعجة التي تنتابني ·

وتريثت ··· معللاً النفس بجيئها الي ·· وانتظرت مجيئها بعد اسابيع من وضعها ولكنها لم تأت ، وطفقت الهموم والهواجس تصهرني وتؤذيني واخذ خيالي الفسيح يضرب في اودية التخمين ورحت اتسقط خبرها ويا لهول الخبر الذي حز في اذني ·· فالامال التي بنيتها كان اساسها من رمل انهارت بسرعة : ولم اصدق الخبر لاول الامر وفزعت الى التكذيب مخدراً اعصابي الهائجة ولكن الخبر ذاع وشاع في المدينة ان عائدة قد جنت وستدخل المستشفى لمعالجتها وآية الامر ان عائدة لحنانها الغامر على ابنتها كانت ترقدها دوماً بقربها على فراشها وكأنها غفت ذات ليلة فقلبت على ابنتها فهصرت عودها الرخص ولفظت انفاسها ·· بخفوت وسكينة ، ولما رأت ان حشاشتها فقدت روحها انتابتها ضربة قاتلة في الصميم فهاجت اعصابهـا وتلظت فالضربة الكبيرة لم تتحملها ، وهي المتشوقة المتلهفة دوماً الى طفل يغذي نهمتها ويسد جوعها للامومة ··

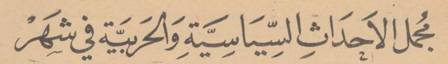
وتناقلت الالسنة ، انها مزقت ثيابها ، وقطعت لحم جسدها، وخرجت تصيح في كل مكان، ان زوجها الذي قتل طفلتها ، لانه علم انها ليست ابنته ، ولما فحصها الاطباء ، قرروا انها خولطت في عقلها ، وهي بحاجة للاستشفاء والمعالجة الحكيمة ، لتخرج من ازمتها ·

يا الهي ما اقسى الحياة ·· لقد تلقينا القصاص العاجل ، فقدنا كل شيء ، الطفلة البريئة ، التي لم تجترح اية جريرة ، واضعنا الحب الذي كان يرفرف باجنحة الفضة علينا ··

دخلت عائدة المستشفى ، ودخلت في دنيا الاشباح المروعة ، والآلام اللاظية ·· في كل مكان يرف شبحها يتهمني ·

اجل لقد فقدت كل شيء ، وحالتي تدعو للرثا ، اكثر من حالتها ·

اللاذقية — محمد حاج حسين



لندن ١ كانون الثاني سنة ١٩٤٣ – اعلن سقوط فيلي كولوكي تحت هجمات الجيش الروسي وابيدت حاميتها وباتت روستوف مهددة ورجيف بخطر الانعزال . القاهرة – وصل الفوج الاول من الحجاج عائداً من الديار الاسلامية المقدسة وقد استقبل بالحفاوة التقليدية الرائعة . لندن – فهم ان الجنرال ديغول لم يتلق جواباً خطياً رسمياً من الجنرال جيرو غير ان جيرو اعرب بانه سيكون سعيداً بالاجتماع برئيس الفرنسيين المحاربين .

القاهرة ٢ – التحمت قوات الحلفاء المطاردة جيش روميل المنهزم من جديد بالاعداء في منطقة وادي الكبير ويشير نبأ آخر ان قوات الجنرال لوكلير الفرنسية القادمة من تشاد تقترب شيئاً فشيئاً من ميادين العمليات الحربية في منطقة طرابلس الغرب .

واشنطن ٣ – صدر بيان مشترك من سبع وعشرين دولة متحالفة واللجنة الفرنسية القومية انذرت فيه دول المحور بان حقوق الممتلكات التي عبث بها النازيون وتصرفوا بها في البلدان المحتلة ستعاد الى ما كانت عليه والى اصحابها الشرعيين . زوريخ – اعترف الالمان بتفوق القوات الروسية التي تهاجمهم في مختلف جبهات القتال وكتبت صحيفة المانية بان التفوق ليس في الرجال والدبابات فحسب بل بالطيارات ايضاً .

استمبول ٤ – يقول القادمون من صوفيا ان موجة اعتقالات جديدة اجتاحت بلغاريا على اثر اكتشاف مؤامرة تستهدف اغتيال كثيرين من النازيين والقادة البلغاريين .

الرباط ٧ – اذاع مقر قيادة الحلفاء في افريقيا ان المحور فقد في الشهرين الاولين لحملة افريقيا ٣٤٤ طائرة مقابل ١٤٧ طائرة خسرها الحلفاء .
دمشق – استقال السيد حسني البرازي رئيس وزراء سوريا وخلفه في منصبه السيد جميل الالشي رئيس حكومة سوريا السابق في العام ١٩٢٠ وبقي سائر اعضاء الوزارة في مناصبهم ما عدا دخول الامير مصطفى الشهابي في الوزارة وزيراً للمالية .

القاهرة ٨ – وصل الى القاهرة اربعة من النواب البريطانيين وهم قوام البعثة البريطانية التي زارت الصين وهي عائدة بطريق مصر وقد قابل اعضاء البعثة مع السفير البريطاني بمصر رئيس الوزارة المصرية . الجزائر – صرح الجنرال جيرو بقوله : انني – كما قال كليمنصو – احارب لاجل تحرير الوطن الاصلي ووضع حد لجنون العنصر الالماني الفظيع ، لقد وطدت العزم على اتباع الطريق المستقيم حتى النهاية . ووجه الجنرال كلامه الى الضباط فقال : سأهزم الالمان معكم ومع جيش ١٩٤٣ في كل مكان نلقى بهم سنكرر ما فعلناه في العام ١٩١٨ .

سان باولو ٩ – اعلنت الجالية الايطالية في البرازيل بمذكرة عن امل الايطاليين الاحرار بتحرير ايطاليا قريباً من الفاشستية والنازية وقالت ان الامم المتحدة لا تحارب الشعوب البريئة انما تحارب الدكتاتوريات وان الاحرار الايطاليين في البرازيل يريدون الانضمام الى جيوش الحلفاء لتحرير بلادهم .

لندن ١٠ – بعد ان استولت القوات الفرنسية المحاربة الزاحفة من تشاد على برائك ورفعت العلم الفرنسي على ام الارانب والقطرون تستمر في تطهير منطقة فزان من الاعداء . واشنطن – صرح السير جوناث بيوور وزير الدفاع الهندي في اجتماع المجلس التشريعي الهندي بان ٥٣ بالمئة من رجال الاسطول الملكي الهندي من المسلمين ويعمل عدد كبير من الهنود المسلمين في سلاح الطيران الهندي .

واشنطن ١١ – يقدر عدد المسلمين الصينيين الذين يساهمون بالحرب مع الامم المتحدة بنحو مليوني رجل ويشترك عدد كبير من مسلمي الصين باعمال العصابات الصينية التي توجه الضربات القاصمة لليابانيين . لندن – ارسل فخامة الجنرال ديغول برقية الى جلالة الملك عبد العزيز آل السعود جاء فيها : « بمناسبة ذكرى ارتقاء جلالتكم العرش ارجو التفضل بقبول تهنئتي الحارة واماني الخالصة لشخصكم ولرفاهية شعبكم .

كاليفورنيا ١٢ – جربت لاول مرة طائرة من طراز لوكهيد مثلثة الذيل ذات جسم كجسم كلب البحر تستطيع ان تحمل دبابة خفيفة بادواتها ومعداتها وان تعبر بها المحيط وقد وصفها المهندسون بانها اكبر واسرع واقوى طائرة نقل بنيت حتى الآن .

واشنطن ١١ – قدم الرئيس روزفلت الى مجلس الكونغرس اعظم ميزانية في تاريخ الولايات الاميركية المتحدة اذ يبلغ قدرها مائة الف مليون دولار تمثل اضخم برنامج وضع حتى الآن للسير بالحرب .

موسكو ١٢ – استولى الثوار اليوغوسلافيون على حامية مدينة كبرى وكان بين الغنائم كثير من المدافع وثلاثة الاف بندقية و٨ قاطرات مشحونة بالمؤن والعتاد الحربي وعدة مستودعات للذخيرة . ملبورن – خصصت الحكومة الاسترالية نصف ميزانيتها للحرب أي حوالي ٤٤٠ مليون بما في ذلك مختلف قروض الحرب .

لندن ١٣ – انزلت المدمرة (لاكومباتانت) الجديدة وهي للفرنسيين المحاربين من احد احواض السفن البريطانية الى البحر بحضور قائد القوات البحرية لفرنسا المحاربة وجميع البحارة من الفرنسيين . لندن – اعلنت اللجنة الفرنسية الوطنية انضمام الحزب الشيوعي الفرنسي الى الجنرال ديغول .
الجزائر – اذاع راديو الجزائر ان اسلحة من النوع الجديد الذي يستخدمه الاميركان قدمت في رباط الى الوحدات الفرنسية .

لندن ١٤ – وصلت امدادات كندية هامة جديدة الى انكلترا .

شونكينغ ١٥ – اذاع المرشال شان كاي شك خطبة بالراديو على اثر توقيع الاتفاقات بين الصين واميركا وانكلترا بشأن الغاء الامتيازات الاقليمية في الصين جاء فيها « ان التوقيع على الاتفاقيات لا يؤلف صفحة هامة في تاريخ الصين فحسب بل يعتبر مساهمة مجيدة من قبل اميركا وبريطانيا والدول الحليفة لنشر الحرية والمساواة بين الجنس البشري . لندن – استقبل المستر ايدن فخامة الجنرال كاترو ودارت بين الرجلين احاديث هامة وذلك في مكتب وزير الخارجية .

لندن ١٦ – اعلن مقر قيادة فرنسا المحاربة ان السلطات الالمانية اعدمت سبعة من الفرنسيين في مدينة تور لمحاولتهم اغتيال مارسيل ديا الذي يؤيد

التعاون مع المانيا . لندن – قامت البعثة التركية التي سافرت الى بريطانيا للتدرب على اساليب الانتاج الحربي بجولة في مناطق الدفاع السلبي وزارت الملاجىء ومراكز الاسعاف والانقاذ كما انهم حضروا بعض التمرينات في مراكز المطافىء . بغداد – اعلن العراق الحرب على دول المحور الثلاث المانيا وايطاليا واليابان وقد صدر بلاغ بهذا الصدد جاء فيه بالنظر للموقف العدائي الذي تقفه دول المحور من العراق وعملها لهدم الاستقلال وضغطها في الماضي على البرلمان العراقي في سبيل مصالحها واثارتها القلاقل فقد رأت الحكومة العراقية ان تعلن الحرب على المحور وتشترك في الدفاع عن المثل العليا .

سانتياغو دي شيلي ١٨ – اعلنت الصحف الشيلية ان حكومة شيلي قررت قطع علاقاتها الديلوماسية مع دول المحور الثلاث المانيا وايطاليا واليابان وقد ابلغ هذا القرار الى الممثلين الديلوماسيين وسلمت اليهم جوازات سفرهم وذلك بناء على الاتفاقات المعقودة بين جمهوريات امريكا . واشنطن – اعلنت وزارة الداخلية ان ٤٥٠ شخصاً ومحلا تجارياً في بلاد امريكا اللاتينية سجلت في اللائحة السوداء . لندن – زار الجنرال ديغول مرفأ على ساحل انكلترا الجنوبي وفتش الوحدات البحرية الفرنسية حيث يخدم في احداها ولده كضابط . وقد ألقى الجنرال ديغول خطاباً امام الاف الفرنسيين الذين وصلوا الى انكلترا بعد حادث دنكرك . دمشق – فجعت البلاد السورية بفقد رئيس جمهوريتها الشيخ تاج الدين الحسني فقد توفاه الله اثر علة دامت بضعة ايام فكان لنبأ وفاته صدى أليم في سوريا والاقطار المجاورة وقد احتفل رسمياً بمأتمه ودفنه .

واشنطن ١٩ – ترى الدوائر العليمة في امريكا ان انسحاب فنلندا من الحرب اصبح متوقعاً بعد ان حررت مدينة لننغراد من الحصار الذي دام سنة ونصف . لندن – جاء في رسالة من مدينة الكاب ان الماريشال سمطس صرح بانه سيقدم للبرلمان قراراً يقضي بالسماح لجنود افريقيا الجنوبية بالعمل خارج حدود افريقيا .

بيروت ٢٠ – نشرت الصحافة اللبنانية نص البلاغ الذي اذاعته المندوبية العامة وفيه قرار اللجنة الوطنية الفرنسية المتخذ بالتشاور مع السلطات البريطانية بشأن اعادة الحياة الدستورية الى لبنان . لندن – انجزت المصانع البريطانية اسرع طائرة في العالم وتدعى الاعصار وهي تسير بسرعة ٤٠٠ ميل في الساعة وقوة محركها ٢٠٠٠ حصان اي اكثر من قوة قاطرة سكة حديدية ، وقد اشتركت في الغارات الاخيرة على المانيا .

دمشق ٢١ – صدر مرسوم يقضي باسناد رئاسة مجلس الميرة الى دولة رئيس الوزارة السورية وتعيين حكمت بك الحراكي نائباً لمندوب الحكومة السورية في المجلس المذكور . واشنطن – اعلن المستر ستمسون وزير الحربية الاميركية نبأ احتلال القوات الامريكية لجزيرة وادي الكنال من جزر سليمان كما اعلن نبأ اغراق باخرة المانية في الباسفيك .

لندن ٢٢ – اعلن ان خطاً حديدياً جديداً يجتاز صحراء العراق قد انشيء لتعجيل ارسال التموينات والاعتدة الى روسيا وقد دشن هذا الخط في الشهر الماضي وبني بمساعدة الجيش الهندي .

بغداد ٢٣ – وافق مجلسا النواب والاعيان بالاجماع بعد اخذ الرأي بالمناداة على مشروع قانون يخول الحكومة العمل على انضمام العراق الى تصريح الامم المتحدة وميثاق الاطلنتيك . لندن – يعمل ربع البحرية الفرنسية الى جانب الحلفاء وتتألف قوات فرنسا البحرية من خمسين باخرة ثقيلة الحمولة . القاهرة – انقطعت محطة الاذاعة في طرابلس الغرب عن العمل ويجري الترحيل عن المدينة بسرعة .

جنيف ٢٤ – تفيد الانباء ان المعارك ناشبة في شوارع مرسيليا من جراء قيام البوليس باعتقالات عديدة بين العمال الذين رفضوا الذهاب للعمل في المانيا . القاهرة – اجتازت قوات الجيش الثامن خطوط الدفاع التي تحيط بمدينة طرابلس وقد دخلت الوحدات المتقدمة المدينة التي تلتهمها النيران وتهاجم القوات الفرنسية التي اتصلت بالجيش الثامن قوات المحور .

لندن ٢٥ – وقعت حكومة بريطانيا وحكومة تشيكوسلوفاكيا معاهدة قائمة على مبدأ مستمد من مبدأ الاعارة والتأجير . لندن – انكر الناطق في لندن باسم فرنسا المقاتلة ونفي ما قيل ان الجنرال ديغول وافق على تعيين بيروتون في منصب الحاكم العام للجزائر ، وقالت وكالة فرنسا المستقلة ان ديغول لم يستشر ولم يصادق على هذا التعيين .

لندن ٢٦ – اذيع رسمياً ان القوات الاسترالية والاميركية اقتحمت سناندا واستولت عليها وهي اخر معقل لليابان في بابوا . استمبول – حيت الصحف التركية بحماس واعجاب سقوط طرابلس الغرب معتبرة سقوطها نصراً عظيما للحلفاء . موسكو – وجه رئيس الاتحاد السوفياتي الرفيق ستالين امراً يومياً الى الجنود الحمر . وبعد ان عدد فيه الانتصارات الظافرة التي احرزها الروس في مختلف الجبهات ارسل تهنئة حارة الى ضباطه وجيوشه وختم الامر اليومي قائلا الى الامام لهزم الجيوش الهتلرية نهائياً وطردها من الاراضي السوفياتية .

لندن ٢٨ – قدم السير كنزلي وود وزير المالية مشروع الميزانية الحربية الى مجلس العموم وقد بلغت ارقامها ١٨٠٠ مليون جنيه وذكر ان نفقات الحرب في اليوم الواحد تبلغ ١٧ مليوناً جنيه وكانت في الميزانية السابقة ١٤ مليوناً في اليوم الواحد . لندن – اعلن راديو فيشي ان الاحكام العرفية اعلنت في مرسيليا على اثر الاوامر التي اصدرتها السلطات الالمانية بوجوب اخلاء منطقة الميناء وترحيل السكان الذين قدر عددهم باربعين الفا .

لندن ٢٩ – اعلن رسمياً انتهاء مؤتمر الدار البيضاء وقد حضره الرئيس تشرشل والرئيس روزفلت وكبار رجال هيئات الحرب الامريكية والبريطانية والجنرال ديغول والجنرال جيرو وعدد من ممثلي الجيوش المتحدة وقد دام عشرة ايام اعلن على اثره ان التاريخ لم يسجل اجتماعاً حربياً للامم المتحدة كهذا الاجتماع الذي اسفر عن اتفاق شامل تام على توجيه معارك ١٩٤٣ كلها ضد المانيا وايطاليا واليابان وتقرر التمسك بخطة الهجوم الفعلي، وقد اعتذر ستالين عن الاشتراك في هذا المؤتمر الخطير بسبب انهماكه شخصياً بالقيادة العليا الا ان سفيري امريكا وبريطانيا في موسكو ابلغاه نتائج المقررات وكذلك ابلغت الى شأن كاي شك القائد الاعلى للقوات الصينية .

لندن ٢٩ – على اثر انتهاء مؤتمر الدار البيضاء اذاع الجنرال ديغول والجنرال جيرو بياناً مشتركاً جاء فيه لقد قابلنا بعضنا وتباحثنا فاتفقنا على الهدف الواحد وهو تحرير فرنسا واحراز النصر التام على العدو العام بتعاون الفرنسيين جميعاً في الكفاح الى جانب الحلفاء .